

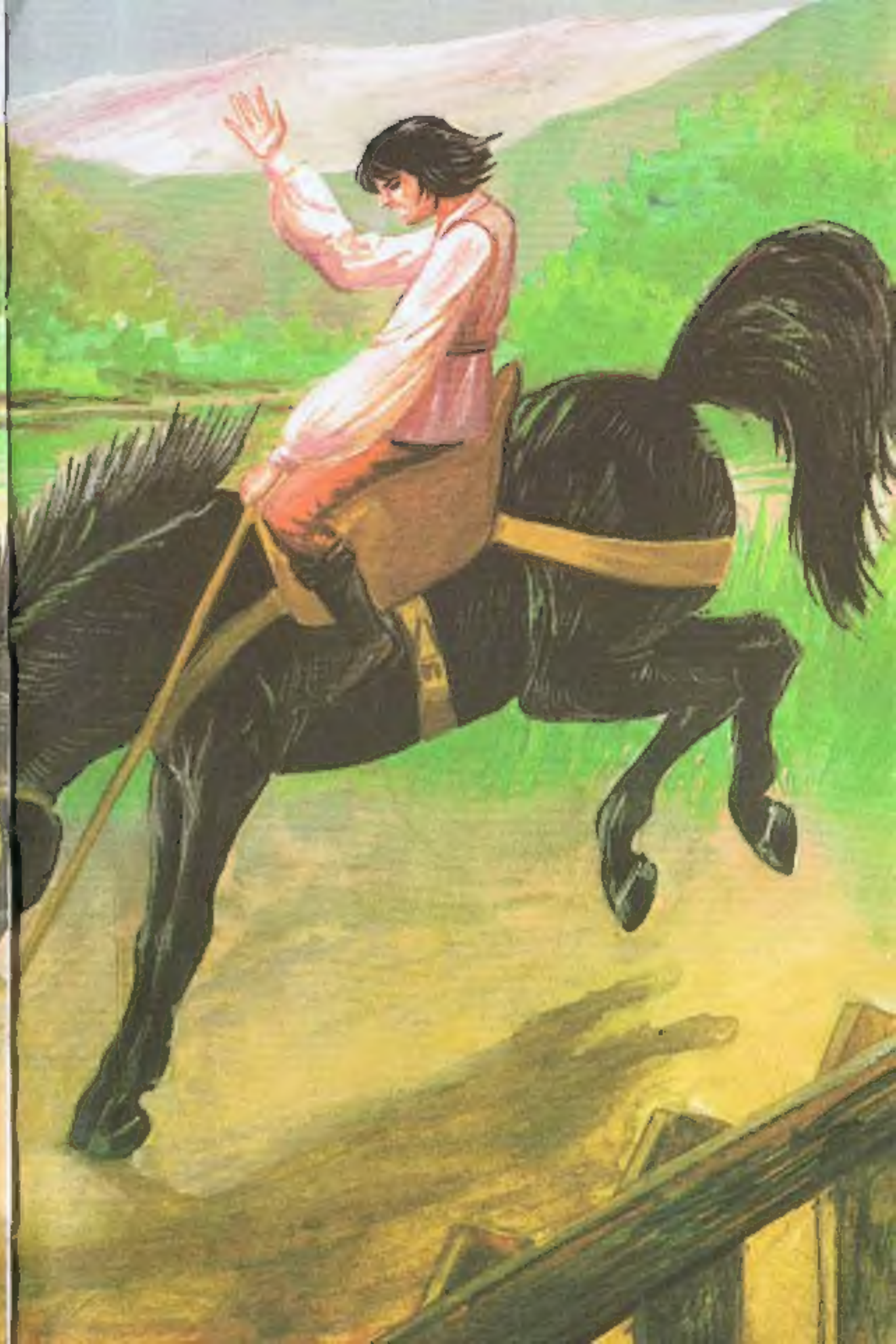


# لورنا دوف

الروايات المشهورة









# لُورِنَا دُفِن



الروايات المشهورة



تأليف: ر. د. بلاكمور  
إعداد: شوقي رياض السنوسي  
رسوم: محمد نبيل عبد العزيز

مكتبة لبنان  
بيروت

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ شارع حسين واصف، ميدان المساحة، الدقي - الجيزة  
جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه  
أو تسجيله بأي وسيلة، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر.

الطبعة الثانية

رقم الإيداع : ٢٢٩١ / ٨٨

الترقيم الدولي : ٥-٤٩-١٤٤٥-٩٧٧-٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة





## الفصل الأول

### انقطاعي عن المدرسة

اسمي جون رد ، وأعيش في قرية « أوير » بإقليم « سويسيت »  
بإنجلترا . وسوف أروي لكم عن أحداث مثيرة وقعت في هذه البقعة من  
العالم خلال حياتي .

كان والدي يعمل في مزرعة آلت إله عن جدي . وقد توارثنا هذه  
المزرعة أبا عن جد منذ مئات السنين . ولما حان وقت انتظامي في الدراسة ،  
التحققت بمدرسة « بلنديل » في مدينة « يفرتون » . ولو أمنت النظر في  
إحدى اللوحات المعلقة بهذه المدرسة ، لقرأت اسمي محفوراً عليها . ولم  
ألق سوى قليل من العلم بها ، لأنني تركتها مبكراً .

وهذه قصة تروي للمدرسة في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر عام  
١٦٧٣ م .

كنت عائداً من المدرسة مع زملائي في الساعة الخامسة حين كان صف  
طويل من الجياد المحملة بالبضائع يسير على الطريق في جراحة بعض  
الجنود ؛ إذ كان يُظن أن مستر فاجس قريب من المكان ، وأنه قد يسطو على  
هذه البضائع . وكان مستر فاجس ابن عمي ، وكان معروفاً للجميع بأنه من  
قطاع الطرق .

أسرعنا جميعاً نحو بوابة المدرسة لنترى الجياد والجنود وهم يمرون .



وَيَتِمَا كُنَّا تَدْفَعُ لِلْخُرُوجِ ، لَكَمَنِي أَحَدُ التَّلَامِيذِ ، وَاسْمُهُ رُوَيْنَ سَنِلٌ ، فِي بَطْنِي . وَتَمَلَّكَنِي الْغَضَبُ ، وَرَدَدْتُ عَلَيْهِ بِلُكْمَةٍ فِي وَجْهِهِ . فَانْدَفَعَ إِلَيَّ وَضَرَبَنِي بِعُتْفِ ضَرْبَةٍ أَوْفَعَتْنِي أَرْضًا .

تَصَايَحَ الْغُلَمَانُ : « ائْهَضْ يَا جُونُ ! لَقَدْ ضَرَبَكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْهِ الضَّرْبَةَ ، وَلَنْ يَخْسِمَ الْأَمْرَ بَيْنَكُمَا سِوَى مَعْرَكَةٍ . »

اقْتَرَبَ مِنَ الْمَكَانِ رَجُلٌ يَجُرُّ جَوَادَيْنِ . وَسَأَلَ الرَّجُلُ : « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ جُونَ رِد ؟ » كَانَ السَّائِلُ هُوَ جُونُ فَرَايِ الْخَادِمِ فِي مَنْزِلِنَا .

تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ قَائِلًا : « لِمَاذَا حَضَرْتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ يَا جُونُ ؟ إِنْ الدَّرَاسَةُ مُسْتَمِرَّةٌ حَتَّى الشَّهْرِ الْقَادِمِ ، وَأَمَامِي شَهْرٌ آخَرٌ مِنَ الدَّرَاسَةِ . »

أَدَارَ جُونُ فَرَايَ وَجْهَهُ بَعِيدًا عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ :

« أَغْرِفُ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّ أُمِّي فِي الْمَنْزِلِ تَطْهَرُ الطَّعَامَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ لَكَ الْآنَ . »

سَأَلْتُهُ : « كَيْفَ حَالُ وَالِدِي ؟ لَقَدْ اعْتَادَ دَائِمًا أَنْ يَأْتِيَ فِي بَدْءِ الْإِجَازَةِ لِاصْطِحَاحِي إِلَى الْبَيْتِ . »

أَجَابَ جُونُ فَرَايَ ، وَقَدْ خَفَضَ بَصَرَهُ : « إِنَّهُ الْآنَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ التِّلِّ . » وَأَذْرَكَتُ حَبِيذًا أَنَّهُ لَا يُخْبِرُنِي بِالْحَقِيقَةِ .

سَأَلْتُهُ : « هَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَنْهِيَ الْمَعْرَكَةَ مَعَ هَذَا الْغُلَامِ أَوْ لَا يَا جُونُ ، أَمْ يَتَحَتَّمُ أَنْ تَرْحَلَ الْآنَ ؟ »

أَجَابَ : « كَلَّا ! بَلْ خُضِ الْمَعْرَكَةَ . سَوْفَ تَخُوضُ مَعَارِكَ كَثِيرَةً فِي

حَيَاتِكَ ، وَلَا بَأْسَ مِنْ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْآنَ . »

كَانَ رُوَيْنَ سَنِلٌ أَضْحَكُ مِنْ جِسْمِي . وَلَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أُرْكَزَ ذَهْنِي فِي الْمَعْرَكَةِ بِإِدْيِ الْأَمْرِ ، إِذْ كُنْتُ أَفَكِّرُ فِيمَا قَالَهُ جُونُ فَرَايَ عَنْ وَالِدِي . وَلَكِنْ مَا إِنْ لَكَمَنِي رُوَيْنَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى جُنَّ جُنُونِي ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ الضَّرْبَةَ فِي الْحَالِ . وَدَارَ التَّرَالُ بَيْنَنَا نَحْوَ ثَلَاثِ دَقَائِقَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ صَاحَ الْغُلَامُ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَنَا قَائِلًا : « انْتَهَتْ الْجَوْلَةُ ! »

تَوَقَّفْنَا وَاسْتَرَحْنَا قَلِيلًا . وَبَدَأَتْ الْجَوْلَةُ الثَّانِيَةُ أَكْثَرَ حَذَرًا ، إِذْ أُخِذْتُ أَنْوَرُ خِصْمِي إِلَى أَنْ تَمَلَّكُهُ الْإِجْهَادُ . وَكَانَ جُونُ فَرَايَ خَارِجَ حَلْقَةِ الْأَوْلَادِ ، يَقْتَرِبُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ لِيَسْأَلَ عَنْ أُنْبَاءِ الْمَعْرَكَةِ .

« سَلِمَتْ يَمِينُكَ يَا جُونُ ! » هَتَفَ بَعْضُ الْمُتَفَرِّجِينَ ، عَلَى جِهِنِ صَاحِ آخَرُونَ :

« أَجْهَزَ عَلَيْهِ ! بِطَرَحِهِ أَرْضًا ! »

مَرَّةٌ أُخْرَى سَمِعْتُ الْحَكَمَ يَصِيحُ : « انْتَهَتْ الْجَوْلَةُ ! »

وَفِي الْجَوْلَةِ الْأَخِيرَةِ عَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ أَتَصَيَّرَ عَلَى رُوَيْنَ سَنِلٍ أَوْ لَا أَرَى مَنْزِلِي أَبَدًا مَرَّةً ثَانِيَةً . وَفَهَقَ الْخِصْمُ سَاجِرًا فِي وَجْهِهِ ، فَتَمَلَّكَنِي غَضَبٌ شَدِيدٌ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ سَدَّدَ إِلَيَّ ضَرْبَةً بِيَدِهِ الْيُسْرَى غَيْرَ أَنَّنِي تَفَادَيْتُهَا بِحَرَكَةٍ مِنْ رَأْسِي . وَسَرَّعَانَ مَا نَاولَتْهُ يَمِينِي لُكْمَةً قَوِيَّةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ . كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الضَّرْبَةُ الْقَاضِيَةُ الَّتِي أَنْهَتْ الْمَعْرَكَةَ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَاوَنْتُ فِي حَمْلِ رُوَيْنَ سَنِلٍ إِلَى فِرَاشِهِ .



## الفصل الثاني

### مُعَادَاة آل دُون

كَانَ الطَّرِيقُ مِنْ تَيْفَرْتُون إِلَى أُوَيْر طَوِيلًا وَوَعْرًا . وَكَانَ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَى الْمُسَافِرِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى مَوَاضِعِ خُطَاهُ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ هَذَا الطَّرِيقِ .  
غَادَرْنَا تَيْفَرْتُون مُبَكَّرِينَ فِي الصَّبَاحِ ، وَعَبَرْنَا نَهْرَيْنِ ، ثُمَّ وَصَلْنَا دَلْفَرْتُون فِي مُتَنَصِّفِ النَّهَارِ . وَكَانَ جُونُ فَرَاي يُخْفِي عَنِّي سَبَبَ حُضُورِهِ الْمَفَاجِئِ ؛ كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ .

تَنَاوَلْنَا طَعَامَ الْغَدَاءِ فِي دَلْفَرْتُون ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلَى فِتَاءِ الدَّارِ الَّتِي نَزَلْنَا بِهَا لِأَغْسِلَ يَدَيَّ . حِينَئِذٍ خَرَجَتْ مِنَ الْبَيْتِ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ ، كَانَ يَبْدُو أَنَّهَا إِيْطَالِيَّةٌ . وَتَطَلَّعَتْ إِلَيَّ قَائِلَةً : « تَعَالِ إِلَيَّ يَا صَغِيرِي الْعَزِيزِ . أَنَا « بَيْنِيَا » خَادِمَةُ السَّيِّدَةِ الْمُبْجَلَةِ . يَا إِلَهِي ! مَا هَذِهِ الْأَنَارُ الزَّرْقَاءُ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِكَ ؟ هَلْ ضَرَبَكَ أَحَدٌ ؟ »

أَجَبْتُهَا فِي اقْتِضَابٍ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ الْآنَ . إِنَّ جُونُ فَرَاي يَنْتَظِرُنِي . »

سَأَلَتِ الْمَرْأَةَ : « كَمْ تَبْعُدُ بَلَدَهُ « وَائْتِيتِ » عَنْ هُنَا ؟ »

« إِنَّهَا تَبْعُدُ مَسَافَةً طَوِيلَةً ، وَالطَّرِيقُ إِلَيْهَا وَعَرٌّ مِثْلُ الطَّرِيقِ إِلَى أُوَيْر . »

« أُوَيْر ! سَوْفَ أَتَذَكَّرُ هَذَا الْمَكَانَ جَيِّدًا . هَلْ تَعِيشُ هُنَاكَ ؟ قَدْ أَذْهَبَ

إِلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَرَاكَ . وَالْآنَ أَرْجُوكَ أَنْ تَمَلًّا لِسَيِّدَتِي هَذَا الْكُوبَ مَاءً . »

مَلَأْتُ الْكُوبَ ، وَعَادَتِ الْمَرْأَةُ أَذْرَاجَهَا إِلَى الدَّارِ .

اِمْتَنَظْنَا - أَنَا وَجُونُ فَرَاي - جَوَادِنَا . وَمَا إِنْ سِيرْنَا بَعْضَ الْوَقْتِ حَتَّى مَرَرْنَا بِمَرْكَبَةٍ ضَخْمَةٍ تَصْعَدُ الْجَبَلَ تَجْرُهَا سِتَّةُ جِيَادٍ . وَلَمَحْتُ فِي دَاخِلِ الْمَرْكَبَةِ الْخَادِمَةَ الَّتِي قَابَلْتُهَا حِينَ كُنْتُ أُغْسِلُ وَجْهِي ، وَكَانَتْ فِي رِفْقَةِ سَيِّدَةٍ تَبْدُو عَلَيْهَا عَلَامَاتُ الْهَيْبَةِ وَالْوَقَارِ . وَكَانَتْ تَجْلِسُ إِلَى جِوَارِ السَّيِّدَةِ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ ذَاتُ شَعْرِ فَاجِحٍ رَائِعِ الْجَمَالِ . وَرَفَعْتُ قُبْعِي تَحِيَّةً لَهُنَّ ، فَلَوَّحَتْ لِي الْفَتَاةُ . وَلَكِنْ سَرَّعَانَ مَا اخْتَفَتِ الْمَرْكَبَةُ عَنِ الْأَنْظَارِ عِنْدَمَا عَرَّجْنَا إِلَى طَرِيقِ جَانِبِي وَاطْلَقْنَا فِي طَرِيقِنَا . وَكَانَ الضُّبَابُ الْكَثِيفُ يُظِلُّ تِلْكَ الْمِنْطَقَةَ حَتَّى أَصْبَحَ مِنَ الْعَسِيرِ أَنْ تَرَى أَبْعَدَ مِنْ خُطْوَةٍ أَوْ خُطْوَتَيْنِ .

كَانَ جُونُ فَرَاي عَلَى وَشِكِّ أَنْ يَغْفُوَ عِنْدَمَا تَنَبَّهَ قَائِلًا : « أَيْنَ نَحْنُ الْآنَ ؟ »

فَوَجِئْتُ بِشَيْءٍ مُتَدَلٍّ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَمَامِي ، وَغَشِيَنِي رُغْبٌ شَدِيدٌ .  
كَانَ هَذَا الشَّيْءُ جُتَّةَ رَجُلٍ !

سَارَعْتُ أَسْأَلُ : « مَنْ هَذَا الشَّخْصُ الْمُعَلَّقُ عَلَى الشَّجَرَةِ يَا جُونُ ؟ هَلْ شَتَّقُوا وَاحِدًا مِنْ عَائِلَةِ دُون ؟ »

« شَتَّقُوا وَاحِدًا مِنْ عَائِلَةِ دُون !! لَا تُكُنْ أُحْمَقُ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ نَفْسَهُ لَا يَجْرُؤُ عَلَى شَتْقِ أَحَدِ أَفْرَادِ هَذِهِ الْعَائِلَةِ ! هَذَا لِمَنْ يُدْعَى رِدْ جِيم . »



اسْتَأْنَفْنَا السَّيْرَ . وَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ الْمَزِيدَ عَنْ رِدِّ جِيمٍ ، فَسَأَلْتُ : « مَنْ هُوَ رِدِّ جِيمٍ ؟ »

أَجَابَ جُونُ : « صَبِّهِ ! نَحْنُ الْآنَ عَلَى مَقَرِّبَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ الْخَاصِّ بِآلِ دُونِ . يَجِبُ أَنْ نَسِيرَ فِي هُدُوءٍ تَامٍ ، فَقَدْ يَخْرُجُونَ اللَّيْلَةَ فِي إِحْدَى جَوَلَاتِهِمْ بِالْمِنْطَقَةِ . آلُ دُونِ قَتَلَهُ ، لُصُوصٌ ! وَهُمْ عَائِلَةٌ شَهِيرَةٌ فِي إِقْلِيمِ « بَاغُورْذِي » ، يَكْرَهُهَا الْجَمِيعُ وَيَخْشَوْنَهَا بِشِدَّةٍ . »

« وَلَكِنْ هَلْ نَظُنُّ يَاجُونَ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ رُؤْيَتَنَا فِي مِثْلِ هَذَا الضُّبَابِ الْكَثِيفِ ؟ »

« إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ الرُّؤْيَا مَهْمَا كَانَ الضُّبَابُ كَثِيفًا . لَمْ يُوْجَدْ بَعْدُ ضَبَابٌ يَخْجُبُ الرُّؤْيَا عَنْ أَبْصَارِ آلِ دُونِ . وَالآنَ يَأْتِنِي ، هَبًّا نَتَطَلَّقُ فِي هُدُوءٍ ، إِذَا كُنْتُ نَبْغِي الْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ حَتَّى تَرَى أَمْلَكَ . »

وَصَلْنَا وَادِيًا غَمِيقًا . وَقَبْلَ أَنْ نَهْبِطَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ وَقَعَ خَوَافِرِ جِيَادِ نَعْدُو فَوْقَ الْأَرْضِ الرَّخْوَةِ ، وَصَوْتُ أَنْفَاسٍ لَاهِيَةٍ لِفُرْسَانٍ مُتَعَبِينَ .

نَادَانِي جُونُ فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ قَائِلًا : « انْزِلْ مِنْ فَوْقِ حِصَانِكَ ، وَأَطْلِقْهُ . »

اسْتَلْقَيْنَا عَلَى الْأَرْضِ خَلْفَ شَجِيرَةٍ . وَكَانَ الطَّرِيقُ يَمْتَدُّ طَوِيلًا مِنْ تَحْتِنَا . وَفِي الْحَالِ مَرَّ أَوَّلُ الرَّاكِبِينَ ، ثُمَّ انْمَشَعَ الضُّبَابُ فَجَاءَ فَظْهَرُ لَنَا ضَوْءٌ أَحْمَرٌ مِنْ بَعِيدٍ .





هَمَسَ جُونُ فِي أُذُنِي قَائِلًا : « إِنَّهَا النَّارُ يُشْعِلُونَهَا فَوْقَ جَبَلٍ » ذَكَرِي « لِيُيَسِّنُوا  
لِرِجَالِ آلِ دُونِ الطَّرِيقِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ . »

كُنْتُ مُسْتَلْقِيًا عَلَى ارْتِفَاعٍ عِشْرِينَ قَدَمًا فَقَطُّ فَوْقَ الرَّاكِبِينَ .

كَانُوا رِجَالًا ضِيخَامًا مُسَلَّحِينَ بِالْبَنَادِقِ ، كَمَا كَانُوا يَحْمِلُونَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي  
تَهْبُوها فَوْقَ جِيَادِهِمْ : فَنَاجِينَ مَصْنُوعَةً مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، وَخَفَائِبَ ،  
وَصَنَادِيقَ ، وَأَغْنَامًا مَذْبُوحَةً . وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَحْمِلُ فِتَاةً صَغِيرَةً عَلَى جَوَادِهِ .  
كَانَتْ تُرْتَدِي مَلَابِسَ جَمِيلَةً جَذَابَةً ، وَكَانَتْ هِيَ الْفِتَاةُ نَفْسُهَا الَّتِي سَبَقَ أَنْ  
رَأَيْتُهَا جَالِسَةً فِي الْمَرْكَبَةِ .

لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الْأَشِدَّاءُ يَعْلَمُونَ حِينَئِذٍ أَنَّ هَذِهِ الْفِتَاةَ الصَّغِيرَةَ  
سَوْفَ تَكُونُ فِي السَّنَوَاتِ الْقَادِمَةِ سَبَبَ هَلَاكِهِمْ وَإِخْرَاقِ يَوْمِهِمْ .

لَمْ يَأْتِ وَالِدِي لِيَلْقَانِي . وَعِنْدَ بَابِ الدَّارِ تَنَاهَى صَوْتُ نَحِيْبٍ إِلَى أُذُنِي .  
وَكَانَتْ أُمِّي هِيَ الَّتِي تَبْكِي .

لَقَدْ مَاتَ وَالِدِي ... قَتَلَهُ آلُ دُونِ الْمُجْرِمُونَ !

### الفصل الثالث

#### مَقْتَلُ وَالِدِي

قَتَلَ وَالِدِي بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ آلِ دُونِ .

كَانَ عَائِدًا عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ مِنْ بَلَدَةٍ « بُورْلُوكِ » الصَّغِيرَةِ  
بِصُحْبَةِ خَمْسَةِ مُزَارِعِينَ . وَفَجَاةً ظَهَرَ أَمَامَهُمْ رَجُلٌ مِنْ آلِ دُونِ ، وَأَمَرَهُمْ  
بِتَسْلِيمِ كُلِّ مَا مَعَهُمْ مِنْ نَقُودٍ . وَشَرَعَ الْمُزَارِعُونَ الْخَمْسَةُ فِي تَنْفِيذِ الْأَمْرِ ،  
وَلَكِنَّ وَالِدِي تَقَدَّمَ بِجَوَادِهِ مُبَاشَرَةً نَحْوَ ذَلِكَ الشَّخْصِ وَحَاوَلَ أَنْ يَضْرِبَهُ  
بِعَصَاهُ . وَعِنْدَئِذٍ هَاجَمَ وَالِدِي اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا كَانُوا مُحْتَشِينَ ، فَطَرَحَ ثَلَاثَةً  
مِنْهُمْ أَرْضًا ، غَيْرَ أَنْ أَحَدَ الْبَاقِينَ وَاسَمُهُ كَارْفَرُ دُونِ كَانَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً أَطْلَقَهَا  
عَلَى وَالِدِي . وَفِي الصَّبَاحِ الْتَمَلَّيْتُ وَجَدْتُ جُسَّتَهُ مُلْقَاةً وَتَحْتَهَا عَصَاهُ  
الْمَكْسُورَةُ .

تَرَكَ وَالِدِي ثَلَاثَةً مِنَ الْأَبْنَاءِ ، أَكْبَرُهُمْ أَنَا - جُونُ رِدْ - وَكَانَتْ الْوَسْطَى  
هِيَ أُخْتِي آيِ . أَمَّا الصَّغِيرَى فَكَانَتْ تُدْعَى لِيْزِي .



## الفصل الرابع

### قدوم آل دون إلى باغوردي

لَعَلَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ أُحْكِيَ لَكُمْ طَرَفًا مِنْ تَارِيخِ آلِ دُونٍ : مَنْ هُمْ ، وَكَيْفَ أَتَوْا إِلَى بَاغُورْدِي .

فَفِي عَامِ ١٦٤٠ ، أَيُّ قَبْلِ أَنْ أَتَرَكَ الْمَدْرَسَةَ بِثَلَاثِينَ عَامًا ، كَانَ هُنَاكَ رَجُلَانِ يَمْتَلِكَانِ مَعًا مِسَاحَاتٍ شَاسِعَةً مِنَ الْأَرْضِ فِي إِنْجِلْتِرَا . وَكَانَا يَقْتَسِمَانِ رِيعَ هَذِهِ الْأَرْضِ فِيمَا بَيْنَهُمَا بِالتَّسَاوِي . كَانَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ هُوَ لُورْد لُورْن ، أَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يُدْعَى سِيرِ إِنْسُور دُون .

وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ اخْتَلَفَ الرَّجُلَانِ . فَقَدْ أَرَادَ لُورْد لُورْن أَنْ يَسْتَقِيلَ بِنِصْفِ الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ . أَصْبَحَ لَا يَرْضَى بِنِصْفِ دَخْلِ الْأَرْضِ مُجْتَمِعَةً ، وَأَخَذَ يَتَطَلَّعُ إِلَى الْأَسْتِخْوَاذِ عَلَى بِنِصْفِ الْأَرْضِ ذَاتَهَا .

وَلَجَأَ كُلُّ مَنْ لُورْد لُورْن وَسِيرِ إِنْسُور إِلَى الْمَحْكَمَةِ فِي لَنْدَن . وَاسْتَمَعَ الْقَاضِي إِلَى وَقَائِعِ التَّزَاوُعِ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ حَكَمَ بِأَنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمَا الْحَقُّ فِي امْتِلَاكِ تِلْكَ الْأَرْضِ .

غَضِبَ سِيرِ إِنْسُورُ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ عَلَى الْقَانُونِ . وَهَاجَرَ إِلَى رُكْنٍ بَعِيدٍ مُتَعَزِّلٍ مِنْ إِنْجِلْتِرَا حَيْثُ اكْتَشَفَ وَاْدِيًا تُحِيطُ بِهِ أَسْوَارٌ عَالِيَةٌ مِنَ الصُّخُورِ . وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ اسْتَقَرَّ هُنَاكَ . وَفِي بَادِي الْأَمْرِ ،

كَانَ فِي صُخْبَةٍ سِيرِ إِنْسُورِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَلَكِنْ بِمُرُورِ الْوَقْتِ ، أَصْبَحَ عَدَدُهُمْ كَبِيرًا ، بَعْدَ أَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ آخَرُونَ . وَعَاشَ آلُ دُونٍ فِي سَلَامٍ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَلَمْ يُلْحِقُوا أَذَى بِأَيِّ شَخْصٍ . وَتَعَاطَفَ الْمُزَارِعُونَ وَسَائِرُ النَّاسِ فِي الْمِنْطَقَةِ مَعَ سِيرِ إِنْسُورِ إِذْ كَانُوا يَعْرِفُونَ مَدَى الظُّلْمِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ . غَيْرَ أَنَّ آلَ دُونِ سَرَّعَانَ مَا بَدَأُوا يَسْرِقُونَ الْمُزَارِعِينَ ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسَافِرِينَ ، وَيَقْتُلُونَ كُلَّ مَنْ يَتَصَدَّى لَهُمْ . عِنْدَيْدِ اخْتِذَاكَ النَّاسِ يَمْقُتُونَ آلَ دُونٍ وَيَخْشَوْنَهُمْ ؛ وَلَكِنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى مُقَاتَلَتِهِمْ إِذْ كَانُوا شَدِيدِي الْبَاسِ . كَانَ كُلُّ رَجُلٍ عَائِلَةٌ دُونِ عَمَالِقَةٍ أَقْوِيَاءَ ، وَكَانُوا يُدْرِبُونَ مِنْذُ نُعُومَةٍ أَظْفَارِهِمْ عَلَى إِصَابَةِ الْهَدَفِ فِي الرَّمَايَةِ .

كُنْتُ غُلَامًا حِينَمَا قُتِلَ وَالِدِي . وَلَكِنِّي كُنْتُ وَائِقًا مِنْ أَنْ لِي دَوْرًا قَادِمًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ . وَأَخَذْتُ بِنُدُقِيَّةِ وَالِدِي وَشَرَعْتُ أَنْتَدِرِبُ عَلَى إِطْلَاقِهَا ، وَعَلَى إِصَابَةِ الْهَدَفِ بِهَا . لَقَدْ صَمَّمْتُ عَلَى أَنْ أُعِدَّ نَفْسِي لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ الَّذِي سَوْفَ أَقْتُلُ فِيهِ كَارْفَر دُون .

لَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَ الرَّجُلَ الَّذِي قَتَلَ وَالِدِي .



## الفصل الخامس

### أنقذني الصخرة

هناك بالقرب من مزرعتنا نهران : نهر باغوردي ونهر لين ؛ وعلى بُعد ميلين جنوب المزرعة ، يتلاقى هذان النهران ويصبحان نهرًا واحدًا عريضًا ، يتدفق عبر التلال العالية ، والغابات الممتعة مكونًا بحيرات صغيرة تكثر فيها الأسماك .

في فصل الصيف ، كنت أقصد هذه البحيرات كثيرًا مع אחتي آني لصيد السمك ، كما كنت أذهب إليها بمفردي في بعض الأحيان . كنت قد بلغت الرابعة عشرة من عمري في ذلك الوقت . وكانت أُمي مريضة منذ فترة من الزمن ، وكنت أعرف أنها تحب السمك .

ذات صباح بارد النسمات من أيام الربيع ، خرجت حاملًا سلتي لأصطاد لأُمي سمكًا . وسيرت مسافة ميلين على وجه التقريب . وسيظل هذا اليوم عالقًا بذهني ما حييت ، إذ ما زلت أذكر الأشجار التي كانت تنهيًا لاستقبال الربيع ، كما أذكر برودة الماء الذي كنت واقفًا فيه . وسيرت نحو ميلين في الماء ، وأنا أحاول أن ألتقط سمكة من هذا الموضع أو ذاك . ولم ألبث أن أتيت إلى مكان ازداد فيه اتساع النهر . وكان الماء شديد البرودة فيه ، فرغبت في العودة إلى البيت لأنني لم أوفق في اصطاد شيء .

جلست على ضفة النهر أفرك ساقَي ، ثم أخرجت بعض الخبز واللحم

وبدأت أتناوله . وما إن أكلت حتى شعرت بالقوة تدب في جسدي ، ففزمت على أن أمضي في اتجاه منبع النهر حتى أصِل إلى وادي آل دون . كانت المياه باردة جدًا . وكانت هناك أماكن ممتعة من النهر تمتد تحت ظلال الأشجار الكثيفة . وشعرت بالخوف الشديد وأنا أغبر تلك الأماكن ؛ فقد كانت الأشجار السامقة تنصب حولي وقد تساقطت أوراقها ، على حين ارتفعت أمامي أغصانها الضخمة مثل أذرع تنهيًا لضرري . غير أنني حصلت على سمك كبير خلال تلك المسيرة .

لم أهتم بمرور الوقت ، واستأنفت الخوض في المياه . وكنت أصبح فرحًا كلما أمسكت بسمكة ، فاستمع صدى صوتي يرتد من الجبال ، إذ لم يكن ثمة صوت آخر يتردد في ذلك الجو الهادي البارد .

أتيت إلى فسحة بين الأشجار ورأيت أمامي كتلة من المياه على شكل بركة مستديرة وعميقة . كان الماء يدور سريعًا في هذه البركة . ورفعت عيني إلى الصخرة العالية التي على الجانب الآخر قرأت مسيل ماء صاف يتحدر على جانب الصخرة . وكان منظرًا بديعًا .

كان باستطاعتي أن أسبح ، ولكنني كنت متعبًا وأشعر بالبرد ، فلم أرغب في الخوض في المياه العميقة ، كي لا يتل جسمي كله بالماء ( إذ كانت ساقاي فقط هما اللتين ابتلنا حتى ذلك الحين . )

كانت الصخور العالية تحجب ضوء النهار . وعلا سحب المياه من



حَوْلِي ، فَشَعَرْتُ بِالْخَوْفِ . وَأَرَدْتُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ أَعُوذَ أَذْرَاحِي إِلَى  
الْمَنْزِلِ . غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَلْبِثُ أَنْ قُتْتُ بِفَيْسِي : « إِنَّ مَا يَدْفَعُ بِالْخَوْفِ إِلَى قَلْبِكَ  
يَا حُونَ رَدُّهُ هُوَ مَرَأَى هَذِهِ الْأَشْجَارِ وَالصُّخُورِ ، بِالإِصَافَةِ إِلَى هَدِيرِ أَلْمِيَاهِ  
الْدَّافِعَةِ . هَلْ أَعُوذُ إِلَى أُمِّي لِأُخِيرَهَا بِأَنِّي كُنْتُ حَائِلًا مِنْ أَشْيَاءَ لَا تَبْعَثُ  
عَلَى الْخَوْفِ ؟ »

سَرَّعَانَ مَا رِبَطْتُ سَلَّةَ السَّمَلِكِ إِلَى عُنْقِي ، وَسَرْتُ إِلَى أَسْفَلِ صَخْرَةٍ كَانَتْ  
تَبْرُزُ مِنَ الْمَاءِ . وَانْتَرَلَقْتُ قَدَمِي عَلَى الثَّنَابِ اللَّيِّنِ الْمُثَلَّلِ الَّذِي يَكْسُو الصَّخْرَةَ  
مَوْقَعَتْ فِي الْمَاءِ . وَسَحَرْتُ بِقُوَّةٍ ، وَلَكِنِّي أَلْمُوحَ حَرْفِي بَعِيدًا إِلَى وَسْطِ  
الْتَّهْرِ . وَشَعَرْتُ بِأَنِّي عَلَى شَعَا الْمَوْتِ ، لِأَنَّ سَاقِي كَانَتْ تُؤَلِمَانِي حَذًّا . غَيْرَ  
أَنِّي تَمَكَّنْتُ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى الصَّخْرَةِ وَشَرَعْتُ فِي تَسْلُقِهَا وَكَانَ الْمَاءُ يَتَدَافَعُ  
فَوْقَ رَأْسِي ، وَلَكِنِّي أَحْدَثْتُ أَصْعَدَهَا شَيْئًا فَشَيْئًا . وَأُخْسِنْتُ بِالْهَوَاءِ  
الْمُنْعَشِ يَدَاعِي وَجْهِي ، فَوَاصَلْتُ الصُّعُودَ فِي شِدَّةٍ وَعَزِيمٍ . وَسَقَطْتُ نَعْدَ  
دَبِكٍ مِنَ الْإِغْيَاءِ فَوْقَ الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ الَّذِي يَكْسُو قِمَّةَ الصَّخْرَةِ .

## الفصل السادس

### لِقَائِي لُورَنَّا دُونَ

فَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ فَتَاةً صَغِيرَةً إِلَى حَائِطِي ، وَكَانَتْ تَمْسَحُ بِوَرَقَةِ نَبَاتٍ  
عَلَى وَجْهِي . قَالَتْ الْفَتَاةُ : « إِنِّي سَعِيدَةٌ جِدًّا . أَرَأَيْكَ أَخْسَنَ حَالًا الْآنَ ،  
الَّذِي كَذَلِكَ ؟ »

لَمْ أَكُنْ قَدْ سَمِعْتُ فِي حَيَاتِي مِنْ قُلٍّ صَوْتًا لَهُ عُذُوبَةُ صَوْتِهَا ، وَلَا رَأَيْتُ  
مَخْلُوقًا بِرُوعَةٍ عَيْنِيهَا السُّودَاوَاتِ وَشَعْرِهَا الْغَرِيرِ . وَبَدَتْ لِي كَزَهْرَةٍ نَدِيعَةٍ مِنْ  
أَزْهَارِ الرَّيِّعِ الْجَمِيلَةِ الْمُتَفَتِّحَةِ - وَلَقَدْ ظَلَلْتُ أَرَاهَا دَائِمًا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ  
الْبَاهِرَةِ فِي السُّوَابِ التَّالِيَةِ - وَرُبَّمَا رَاقَ لَهَا وَجْهِي آنَذَاكَ ، فَقَدْ قَالَتْ لِي فِيمَا  
يَعْدُ إِنَّ وَجْهِي قَدْ أُعْجِبَهَا حِينَ رَأَيْتَنِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ .

تَهَضُّتُ جَالِسًا .

سَأَلَنِي : « مَا اسْمُكَ ؟ كَيْفَ أَتَيْتَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَمَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ  
الَّتِي فِي سَلَتِكَ ؟ »

أَحْبْتُ : « هَذِهِ أَسْمَاكَ اصْطَطَدْتُهَا لِأُمِّي ، وَلَكِنِّي سَأَعْطِيكَ بَعْضًا مِنْهَا إِذَا  
أَرَدْتُ . »

صَاحَتِ الْفَتَاةُ : « مَا هَذَا ؟ لَقَدْ جَرَحَ سَاقُكَ ! سَوْفَ أَرْبُطُهَا لَكَ »

قُلْتُ : « هَذَا لَا يَهْمُ . سَوْفَ أَرْبُطُهَا عِنْدَمَا أَعُوذُ إِلَى مَنْزِلِي . وَلَكِنِّي لَمْ



أر فتاة في مثل خمالك من قتل اسمي حوون رد - فما أسمك ؟  
أجابتن في صوت خفيض : « اسمي لورنا دون ، كنت أظن أنك  
عزقة . »

دون .. كان هذا الاسم يعني بالنسبة لي أشياء كثيرة . هذه الفتاة إذا  
واحدة من آل دون الذين قتلوا والدي ! ومع ذلك فلم أستطع أن أكرهها !  
لقد مسح صوتها شعاف قلبي . كان شعرها الأسود اندمع ينحدر على  
كتفها ، كما كانت تمشي من عينيها أضواء وطلال مثل ما ينعث صوت  
الشمس في أعماق العاية . وبدأت أجمع أشياء ، وأحدثت في أثناء ذلك شيئاً  
من الخلقة حتى تنبه إلى أنني أوشك على الرحيل . وشرعت في السّير ،  
ولكنها لم تطلت مني اللقاء . وكنت أعرف أنني لن أستطيع التّروول من فوق  
تلك الصخرة ، وأني قد أسقط وألقى مصرعي إذا ما حاولت ذلك . وبعد  
لحظات التفت إلى الفتاة قائلاً : « لورنا ! »

فالتفت نحوي قائلة : « لقد طست أنك قد رخلت .. لماذا أتيت إلى هذا  
المكان ؟ ألا تعرف ما سوف يفعلك آل دون إذا شاهدوك تخلص ها هـ  
معي ؟ »

« سوف يصربوني ، ولكنهم لن يحرؤوا على ضربك أنت . »

« سوف يقتلونا ، ويرمون بحسنا في الماء . »

سألت : « ولكن لماذا يقتلونني ؟ »





« لِأَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ الطَّرِيقَ السَّرِّيَّ إِلَى وَادِي آلِ دُون . وَالْآنَ ، أَرْجُوكَ أَنْ تَذَهَبَ . أَنْتَ تَرُوقُ لِي كَثِيرًا ، وَلَسَوْفَ أَنْادِيكَ مِنْ الْآنَ بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ جُون وَعِنْدَمَا تُشْفِي سَاقَكَ تَمَامًا ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَأْتِيَ ثَانِيَةً لِرُؤُوتِي . »  
قُتُّ لَهَا : « وَأَنْتِ تَرُوقِينَ لِي أَيْضًا يَا لُورْنا . لَقَدْ أُخْبِتُكَ بِقُدْرٍ مَا أُحِبُّ أُخْتِي آيَ ، وَأَكْثَرَ مِمَّا أُحِبُّ أُخْتِي لِيْزِي . إِنِّي لَمْ أَرِ مِثْلَكَ مِنْ قَبْلُ . وَلَسَوْفَ أُخْضِرُ لَكَ مَعِيَ بَعْضَ التُّعَاجِ وَكَلْبًا صَغِيرًا ، عِنْدَمَا آتِي ثَانِيَةً إِلَى هُنَا . »

قَالَتِ الْفَتَاةُ فِي سَدَاجَةٍ : « آه ، لَنْ يَسْمَحُوا لِي بِاقْتِنَاءِ كَلْبٍ . لَيْسَ ثَمَّةُ كَلْبٍ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْوَادِي كُلِّهِ . »

قُتُّ وَقَبِي يَتَبَضُّ بِعَاطِفَةٍ جَيَّاشَةٍ : « ضَعِي يَدَكَ فِي يَدِي . بِأَلَدٍ مِنْ مَخْلُوقٍ صَغِيرٍ بَرِيءٍ . »

عِنْدَئِذٍ تَنَاضَتْ إِلَى آدَانِهَا صَنِيعَةً عَالِيَةً . وَسَرَّعَانَ مَا شَحَبَتْ وَجْهَ الْفَتَاةِ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً : « آه ، أُنْقِذْنِي ! »

رَدَدَتْ عَلَى الْفُؤُورِ قَائِلًا : « هَيَّا نَهْبِطُ بِنَدِ الصُّخْرَةِ الَّتِي يَسِيلُ فَوْقَهَا الْمَاءُ . »

قَالَتْ : « كَلَّا ! كَلَّا ! سَوْفَ يَرَوُنَا وَنَحْنُ نَعْبُرُ فَوْقَ الْعُشْبِ . هَلْ تَرَى بِنَدِ الصُّخْرَةِ قُرْبَ الشَّخِيرَاتِ هُنَاكَ ؟ إِنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى طَرِيقِ يَحْمِلُكَ إِلَى خَارِجِ الْوَادِي .. رَبَّاهُ سَوْفَ يَقْتُلُونَنِي إِذَا مَا عَرَفُوا أَنَّي أُخْبِرْتُكَ بِهَذَا السِّرِّ . »

رَأَيْتُ حَوَالِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا قَادِمِينَ عَلَى أَرْضِ الْوَادِي . فَفَقَزْتُ بِسُرْعَةٍ إِلَى صَيْفَةِ الشَّهْرِ ، جَاذِبًا إِيَّاهَا وَرَائِي .

صَاحَ الرِّجَالُ قَائِلِينَ : « أَيُّهَا الْمَلِكَةُ ! أَيُّهَا الْمَلِكَةُ ! أَيْنَ هِيَ الْمَلِكَةُ ؟ »  
قَالَتْ لِي لُورْنا : « إِنَّهُمْ يُنَادُونَنِي دَائِمًا بِالْمَلِكَةِ . سَوْفَ أَصْبِيحُ مَلِكَةً عَلَى الْوَادِي عِنْدَمَا أَكْبُرُ . »

هَمَسْتُ لَهَا : « سَوْفَ أُخْبِي أُنَا فِي الْمَاءِ ، أَمَا أَنْتِ فَتَمَدُّدِي عَلَى الْعُشْبِ الَّذِي هُنَاكَ كَمَا لَوْ كُنْتِ نَائِمَةً . »

جَرَتْ لُورْنا نَحْوَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ ، عَلَى بَعْدِ ثَلَاثِينَ مِثْرًا ، وَرَقَدَتْ تَحْتَهَا . وَاخْتَفَيْتُ أَنَا دَاخِلَ الْمَاءِ الَّذِي كَانَتْ تَسْمُو فِيهِ الْحَشَائِشُ الطَّوِيلَةُ . وَلَمْ يَتَذَكَّرْ مِنْ جَسَدِي وَسَطَ تِلْكَ الْحَشَائِشِ سِوَى أَنْفِي .

وَسَرَّعَانَ مَا اقْتَرَبَ أَخَذَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْفَتَاةِ ، وَتَوَقَّفَ مُتَطَلِّعًا إِلَيْهَا بَرَهَةً وَجِيزَةً ، ثُمَّ حَمَلَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ وَهُوَ يَصِيحُ : « هَاهِي دِي مَلِكَتُنَا . هَاهِي دِي آبَةُ زَعِيمِنَا . »

وَضَعَهَا الرَّجُلُ فَوْقَ كَتِفِهِ ، ثُمَّ سَارَ بِهَا فِي رَكْبِ الرِّجَالِ الْآخَرِينَ . عِنْدَئِذٍ خَرَجْتُ مِنَ الْمَاءِ ، وَتَوَجَّهْتُ مُبَاشِرَةً إِلَى الْفَجْوَةِ الَّتِي أُشَارَتْ لُورْنا إِلَيْهَا . وَمَا إِنْ دَخَلْتُهَا حَتَّى وَجَدْتُ نَفْسِي أَسِيرٌ فِي نَفْقٍ مُظْلِمٍ . وَفِي نِهَآيَةِ هَذَا النِّفْقِ وَصَلْتُ إِلَى حَافَةِ الْبِرْكَةِ .



## الفصل السابع

### ثوم وحصانه وني

حدثت أفكر كثيرا في لوزنا بعد ريارتي لوادي آل دون ، وصيرت أحلم بها كثيرا ، كما كنت أتقدم في التدريب على الرماية يوما بعد يوم .

كان لدي في نفس الوقت أعمال كثيرة : فقد كان علي أن أخصد القمح ، وأجمع التفاح ، وأحلب الحشب اللارم ليران المدفأة في الشتاء . وكما هي عادة ، فإن المرأة لا يشغل بمرور الوقت عندما يكون لديه أعمال كثيرة .

انصبي عام آخر من عمري . وسقط المطر عرياً في شهر نوفمبر ، فحاصت مياه النهر وأحد الطيط يسبح شيطاً في النهر ، مخدثاً خلية عالية . ودات يوم دفع الموح يأخدي الططات بعيداً ، حتى بلغت الحسرة ، فأسرعت مع أختي آني لإلقاها .

صهر في تلك اللحظة رخل يركب حصاناً رائعاً . كان هو ثوم فاحس ، قاطع الطريق .

صاح ثوم : « سوف أتقدم لكما البطة . » وهنس بشيء في أدن الحصان الذي اندفع مسرعاً وسط النهر . وعاد ثوم بالبطة حية سليمة . وقلت في نفسي : « حقا إنه لحصان رائع ، هذا الذي يستطيع أن يفهم حديث صاحبه ! » ووقفت مع آني تطلّع إلى الحصان .

سألني ثوم : « هل نعتقد أنه بإمكانك أن تترك حصاني ؟ »

أجبت : « أستطيع أن أركب أي حصان . »

ول . « من حسن الحظ أن الأرض رخوة في هذا الموضع ، ولا تهدد بصاية حطرد بما وقعت عليها . أما ثوم وحسن أش عمك ، وهذه فرسي وبني . »

كنت قد سمعت من قبل أن ولي عرس حروث ترفض أن يركبها أحد غير صاحبها ثوم . ولكني قلت في إصرار : « سوف أحاول ركوبها . » لمصبت صهوة عرس وما إن أضيق ثوم صيحة قصيرة مسمرة حتى ردت





الْفَرْسُ مِنْ سُرْعَتِهَا . وَلَمَّا أُطْلِقَ صَيِّحَةُ أُخْرَى ، حَاوَلَتْ أَنْ تُقْذِفَ بِي بَعِيدًا عَنْ ظَهْرِهَا ، غَيْرَ أَنِّي تَعَمَّسْتُ وَوَاصَلْتُ السَّيْرَ . وَأُحْدِثُ بِي تَقَعُرٌ عَالِيًا وَتَبْدُلُ أَقْصَى حَهْدِهَا لِتَطْرَحَنِي أَرْضًا ، وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ الْإِمْسَاكَ بِرِمَامِهَا وَالْإِسْتِمْرَارَ فِي رُكُوبِهَا . عِنْدَيْدِ أَطْلَاقِ ثَوَمِ صَيِّحَةٍ أُخْرَى ، فَاسْتَدَارَتِ الْفَرْسُ مُتَّجِهَةً لِنَحْوِهِ . وَمَا إِنْ أَتَتْ إِلَى نَوَافِ مَزْرَعَتِنَا ، حَتَّى أَلْقَتْ بِي نَعِيدًا عَنْ ظَهْرِهَا .

قَالَ ثَوَمٌ : « لَقَدْ رَكِبْتُ بِي بِرَاعَةٍ ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّكَ سَنَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ طَوِيلًا هَكَذَا فَوْقَ ظَهْرِهَا . وَلِهَذَا فَسَوَّفَ أَهْدِيكَ بُدْقِيَّةً حَدِيدَةً . »  
انْصَرَفَ ابْنُ عَمِّي بَعْدَ أَنْ أَهْدَانِي الْبُدْقِيَّةَ الْحَدِيدَةَ . وَسُرْعَانِ مَا أُحْدِثُ الْرَّمَايَةَ بِهَا ، كَمَا فَعَلْتُ بِسَابِقَتِهَا .

وَمَرَّتْ سَبْعُ سَنَوَاتٍ ، كَثُرَتْ بِخَالَهَا وَأَصْبَحَتْ شَابًا .

## الفصل الثامن

### الخال ريوين

كَانَ مِسْتَرُ رِيُوِين هَكَابَاكَ ، مِنْ أَهَالِي دَلْفِرُون ، خَالًا لِأُمِّي . وَكَانَ يَمْلِكُ أَكْثَرَ مَخْلٍ لَتَبِيعِ الْمَلَايِسِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . كَانَتْ لَهُ حَفِيدَةٌ تُدْعَى رُوث . وَكَانَتْ أُمِّي تَرْعُبُ فِي ثَقْوِيَةِ صِلَاتِ الْوُدِّ مَعَهُ ، إِذْ كَانَتْ تُعْتَقِدُ أَنَّهُ سَوَفَ يَتْرُكُ لَنَا ثَرَوَةً الْكَثِيرَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

كَانَ آخَالُ رِيُوِين يَخْصُرُ إِلَيْنَا كُلَّ عَامٍ لِقِصَاءِ عِيدِ رَأْسِ السَّنَةِ . وَكَانَ يَرْحَلُ مِنْ مِلْدَتِهِ مُكْرًا فِي الصَّبَاحِ لِيَتَحَبَّبَ إِلَى بَيْتِ دُونِ عَلَى الطَّرِيقِ ، إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مَشْهُورِينَ بِالْكَسَلِ ، وَبِأَنَّهُمْ يَسْتَقِيقُونَ مِنَ الثَّوَمِ عِنْدَ الظُّهْرِ ، وَلَا يَخْرُجُونَ لِلسُّطُوِّ وَالْثَّهْبِ إِلَّا فِي الْمَسَاءِ أَوْ بَعْدَ مُتَتَصِفِ اللَّيْلِ .

غَيْرَ أَنَّ آخَالَ رِيُوِين أُخْطِئَ التَّقْدِيرَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، إِذْ كَانَ آخَالُ دُونِ قَدْ خَرَجُوا مِنْ أَوْكَارِهِمْ مُنْكَرِينَ فِي ذَلِكَ الْعِيدِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَوْمَئِذٍ رَاغِبِينَ فِي السَّرِقَةِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ الْبِرَاحَ وَالْمَرْحَ فَحَسَبُ .

حَلَسْنَا فِي الْبُطَارِ الْخَالَ بِالْمَنْزِلِ ، إِلَى أَنْ ذُقْتُ السَّاعَةَ الْوَاحِدَةَ . وَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْخَارِجِ كَثِيفًا ، لَا تَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَا بِخِلَالِهِ عَلَى تَعْدِ عَشْرَةِ أَقْدَامٍ وَطَالَ بِهَا الْإِيطَارُ بَعْدَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَخْصُرَ . وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدًّا لِقِصَاءِ الْمَسِيَّةِ مُتَعِدًّا .

إِسْتَدَّ قَلْبِي وَالذَّنْبِي ، وَقَالَتْ لِي : « أَحْشَى أَنْ يَكُونَ الْخَالَ قَدْ سَقَطَ فِي



قَضِيَّةُ هَؤُلَاءِ النَّاسِ ، يَا جُون . « لَمْ تُكُنْ وَالِدَتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَلْفِظَ كَمَنِي آلَ  
دُون ، فَكَأَنَّهُ تَدْعُوهُمْ دَائِمًا بِـ « هَؤُلَاءِ النَّاسِ » . وَأَجَبْتُهَا مَارِحًا :  
« سَوْفَ أَسْفُ حَبِيبٌ عَلَى حَالِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ ، إِذْ لَا يَلِثُ الْحَالُ أَنْ تُشْشَى  
مَحَلًّا تِجَارِيًّا إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ ، يَتَبَلَّغُ كُلُّ أُمُورِهِمْ . »

صَحَكْتُ أُمِّي لِهَذَا الرَّدِّ وَلَمَّا بَلَغَ مَا الْحَوَاجُّ ، تَنَاوَلْنَا طَعَامَ الْعَدَاءِ .  
وَحَرَحْتُ بَعْدَهُ حَامِلًا تَذَقُّنِي لِأُبَحِّثَ عَنْ آخِلِ رِيُوس . كَانَ مِنَ الْعَسِيرِ أَنْ  
أَشُقَّ طَرِيقِي فِي الْأَصْبَابِ الْمُتَكَاثِفِ . وَأُحْدِثُ أُنَادِي أَسْمُهُ بَيْنَ الْحَبِيبِ  
وَالْحَبِيبِ ، وَأَمَّا أَفْتَشُ بَيْنَ أَشْخِصَاتِ الْفَتَاثِرَةِ عَلَى طَوِيلِ الطَّرِيقِ ، وَلَكِنْ دُونَ  
حُدُودِي . وَلَمَّا أَغْيَابِي كَبِخْتُ ، عَرَمْتُ عَلَى أَنَّ أُسْتَدِيرَ عَائِدًا إِلَى الْبَيْتِ عِنْدَ  
الْمُفْتَرَقِ الثَّلَاثِي لِلطَّرِيقِ .

فَجَاءَتْ سَمِعْتُ صَوْتًا آدَمِيًّا صَادِرًا مِنْ غُمُقِ الْأَصَابِ . وَتَوَحَّهْتُ صَوْبَ  
الصَّوْتِ فَرَأَيْتُ رَحُلًا مُقْبِدًا مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ حَوَادِ صَعِيرٍ . كَأَنَّهُ قَدَمَا الرَّحُلِ  
فَوْقَ غُمُقِ الْحَوَادِ ، وَرَأْسُهُ عِنْدَ دُنْبِهِ . وَيَنْدُو أَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِرُكُوبِ  
قَدْ أَقْرَعَ الْحِصَانِ الصَّعِيرِ الَّذِي كَانَ يَقْفُرُ دَاتِ الْيَمِينِ وَدَاتِ الْيَسَارِ مُحَاوِلًا  
أَنْ يَطْرَحَ الرَّأْسَ عَنْ طَهْرِهِ . كَانَ حَالِي رِيُوسَ الْيَمِينِ هُوَ ذَلِكَ الرَّأْسُ  
الْمُقْبِدُ ، وَكَانَ يُؤَشِّكُ أَنْ يَمُوتَ مِنَ الرُّعْبِ .

تَظَاهَرَتْ بَادِي الْأَمْرِ بِأَنِّي لَا أَغْرِفُ الرَّحُلَ ، وَأَمْسَكْتُ بِرَأْسِ الْحِصَانِ  
قَائِلًا : « لَا تُخَفْ يَا سَيِّدِي ، فَلَنْ يُصَيِّكَ أَذَى . »

صَاحَ الْحَالُ : « الْتَحَدَةُ يُهَا الصَّدِيقُ الَّذِي لَا أَغْرِفُهُ ! لَقَدْ أُرْسَنْتُكَ السَّمَاءَ

لِإِنْقَادِي مِنَ الْأَصْوَاصِ الَّذِينَ سَلَوِي كُلَّ مَا كُنْتُ أُحْمِلُهُ . »

صَحَحْتُ مُنْظَاهِرًا بِالذَّهْشَةِ : « عَحَا ! إِنَّكَ خَالِي رِيُوس ! لِمَادَا تَرَكْتُ  
الْحَوَادِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْهَزْلِيَّةِ ، وَأَنْتِ أَعْنَى رَحُلٍ فِي دَلْفَرُون ؟ ! »

لَكِنَّهُ كَانَ مِنَ الْإِغْيَاءِ بَحِثُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْكَلَّمَ كَثِيرًا . وَأَنْزَلْتُهُ مِنْ فَوْقِ  
صَهْرِ الْحِصَانِ ، وَوَصَعْتُهُ عَلَى حَوَادِي ، وَحَمَلْتُهُ إِلَى مَنْزِلِي . وَعَسَّهُ الثَّعَاسُ فِي  
الطَّرِيقِ فَاسْتَسَلَمَ لِلنَّوْمِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا . وَمَا بَانَ دَخَلْنَا الْبَيْتَ حَتَّى مَعْصَ الْمَاءِ عَنْ  
مَلَابِسِهِ ، ثُمَّ دَهَبَ لِيَسَامَ مَرَّةً أُخْرَى .

اسْتَبَقْتُ آخِلَ رِيُوسِ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلًا :  
« لَا بُدَّ أَنْ يَرَوْحَ حُونُ رِدْ مِنْ رُوثِ ، وَتَوَوَّلَ إِلَيْهِ كُلُّ ثَرَوَاتِي . لَقَدْ سَلَّتْ



آل دُون الْأَوْغَادِ جُزْءًا كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ ، بَيِّنْدَ أَنْ حُونَ يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ مَا تَبَقِيَ مِنْهَا . »

إِسْتَأْنَفَ آخَالُ ثَوْمَهُ ثَانِيَةً إِلَى أَنْ قَرَعَا مِنْ إِعْدَادِ طَعَامِ الْعِشَاءِ

فِي الْمَسَاءِ رَأَيْنَا الْمُزَارِعَ سَنُو ، عُمْدَةُ الْقَرْيَةِ مَعَ ثَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ، وَأَمْصِيئًا وَقَفَا مُمْتَبِعًا . غَيْرَ أَنَّ آخَالَ رِيُوبِينَ كَانَ يَجْلِسُ طَوَالَ الْمَسَاءِ فِي رُكْنٍ هَادِيٍّ دُونِ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَثِيرًا . وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَتِ السَّهْرَةُ مِنْ نِهَائِهَا تَطَرَّقَ الْحَدِيثُ إِلَى آلِ دُونِ ، فَقَالَ آخَالُ :

« إِنَّكُمْ جَمِيعًا جُبْنَاءُ ، أَيُّهَا الْفَلَاحُونَ ! إِنَّكُمْ جَمِيعًا جُبْنَاءُ ! لِمَاذَا لَا تُتَحَدُّونَ مَعًا وَتَحْوِضُونَ الْمَعْرَكَةَ ضِدَّ هَؤُلَاءِ الْأُنْدَالِ وَتَقْدِمُونَ بِهِمْ إِلَى حَارِجِ الْمِنْطَقَةِ ؟ أَنْتُمْ تَتَعَمَّوْنَ بِالْغِذَاءِ الطَّيِّبِ ، وَتُتَحَدُّونَ الْكَلَامَ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا تُضْطَرُّونَ إِلَى الْقِتَالِ ، فَإِنَّكُمْ تَتَرَاخَعُونَ مَذْعُورِينَ . »

## الفصل التاسع

### زيارة لقاضي الإقليم

فِي الْيَوْمِ الثَّالِي ، عَزِمَ آخَالُ رِيُوبِينَ عَلَى زِيَارَةِ رَئِيسِ الْقَضَاةِ فِي هَذَا الْخَرْءِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ ، وَاسْمُهُ لُورْدُ وَيْشِيهَالِس .

اسْتَعْلَمَ اللُّورْدُ فِي وَدِّ وَحَمَاوَةٍ ، وَضَحَكَ عِنْدَ سَمَاعِ قِصَّةِ آخَالِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « وَلَكِنْ لِمَاذَا أَنْتَ مُتَاكِدٌ مِنْ أَنَّ آلَ دُونِ هُمْ الَّذِينَ سَنُودُ نَقُودَكَ ؟ أَنْتَ تَقُولُ إِنَّ صَانَا كَثِيرًا كَانَ يُخَيِّمُ عَلَى الْمَكَارِ ، فَهَلِ اسْتَطَعْتَ جَيِّدًا أَنْ تَرَى الرِّجَالَ بِوَضُوحٍ ؟ وَهَلِ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُثَبِّتَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ هُنَاكَ ؟ »

عِنْدَ مَا رَأَى آخَالُ أَنَّ الْقَاضِيَّ غَيْرَ مُتَحَمِّسٍ لِمُسَاعَدَتِهِ ، ثَارَ قَائِلًا : « هَلِ هَذِهِ هِيَ عِدَّةُ الْقَضَاءِ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِاسْمِ حِلَالَةِ الْمَلِكِ ؟ سَوْفَ أَذْهَبُ بِفَضِي إِلَى لَنْدَنَ وَأُخَرُّ الْمَلِكَ كَيْفَ يُسَيِّرُونَ إِلَى عَدَالَةِ حِلَالَتِهِ فِي إِقْلِيمِ سُوْمِرْسْت . »

أَجَابَ لُورْدُ وَيْشِيهَالِسَ : « أَوَّه ! إِذَا فَقَدَ وَقَعْتَ هَذِهِ الْجَرِيْمَةَ فِي سُوْمِرْسْت وَلَكْسِي أَحَافِظُ عَلَى الْأَمْرِ فِي إِقْلِيمِ دِيْقُوْشِيرَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي بِالذَّهَابِ إِلَى الْقَاضِي فِي سُوْمِرْسْت . »

غَادَرَ خَالِي رِيُوبِينَ مَزِيلَ الْقَاضِي فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ ، قَائِلًا إِنَّهُ سَوْفَ يَقْصِدُ رَحْلًا عَظِيمًا فِي لَنْدَنَ هُوَ الْقَاضِي جِيْفِرِي . وَرَدَّدَ آخَالُ : « وَآلَانَ يَا جُودِ



رد ، تذكر هذه الكلمات التي أقولها . إن الأمر لن ينتهي عند هذا الحد ، إذ لدى خطة أخرى . إنني أعرف في لندن رجلا أقوى من الملك دايه ، هو القاضي جيفريز . وسوف أحصل على خطابات توصية إلى هذا الشخص العظيم .

وفي طريقنا إلى المنزل ، رأينا بعض أزهار الربيع الجميلة ، فقال الخال :  
« إنها لأزهار جميلة ! »

حملني مراهي تلك الأزهار على التفكير في لورنا دون ، وفي ذلك اليوم البعيد الذي قاسمتها فيه . ترى هل خطررت بإبائها منذ ذلك اليوم ؟

في اليوم التالي أغرت الخال عن رغبته في رؤية وادي آل دون . وقلت إنني أعرف الطريق إليه ، فسألني أن آخذه إلى هناك . وبدأنا الرحلة دون أن نخبر أحدا بالجهة التي نقصدها . وغبرنا غابة باغوردي ببطء على جوادينا ، ثم صنعنا التلال ، إلى جانب الوادي الذي يسكنه آل دون . كان هناك ثل مرتفع عند أطراف الغابة ، وكنا نستطيع أن نرى وادي آل دون في وضوح تام أسفل هذا الثل .

وصدنا أخيرا إلى قمة الثل ، ونظرنا من أطراف الغابة إلى الوادي الذي يسكنه آل دون . وتطلع الخال ريوبس إلى التلال من حوله ، ثم قال : « من السهل أن يستولي نفر قليل من الحود على هذا الوادي ، إذا ما نقصوا مدافعهم على قمم هذه التلال . نحن لا نحتاج إلى أكثر من ثلاثة مدافع في

أعلى هذا الثل ، وثلاثة أخرى على قمة ذلك الحبل ، حتى نتمكن من سحق هذه العصاية . »

لم أكن جينيد أنصت إلى ما يقوله الخال ، فقد كنت أنظر إلى تلك الفجوة الصغيرة في الصخر التي سبق أن سرت خلالها يوما . وبينما كنت أنظر إلى تلك الفجوة رأيت فتاة تتجه نحوها وتمضي إلى داخلها . فتاة جميلة ، دسقة الجسم ، نضاء اللوب . كانت هي لورنا دون . وشعرت بقلبي يخفق بشدة . وعرفت جينيد أن حياتي قد ارتطت بها بطريقة ما .

أنت الخال ريوبس نخوي قائلا : « يجب أن تروى هذا المكان مرة أخرى . يجب أن تراقب وادي آل دون . »

أخنت صاحكا : « أجل ، سوف أفعل ذلك بالتأكيد ... أعدك بذلك يا حالي . »



## الفصل العاشر

### زيارة أخرى للوزنا

بمُحَرَّد أن عاد الحال رُبوس إلى بيته ، أحدثتُ أفكر في زيارة وادي آل دون مرة أخرى . واشتريتُ بعض الملابس الحديدية من بلدة بوزلوك ، ثم بدأتُ الرحلة إلى صحرة الشلال التي كنتُ قد تسقَّتها منذ سنوات . ولقد ذهبتُ عندما بدتُ لي الصحرة حينئذ أصغر جدًا في الحخم وحاصنة بعد أن كثرتُ أنا كثيرًا . وتسلَّقناها في سهولة ويسر ، وسرعان ما وصلتُ إلى القمة . وتلقتُ حولي بحرص وخدر قل أن أخطو فوق الأرض الكثيرة العشب إلى جانب النهار . كانت الأشجار حينئذ بدأت تُكثف عن أوراقيها الصغيرة الكيابة ، التي تبدو حصراء زاهية في ضوء الشمس . وكانت السماء الصافية شديدة الزرقة ، على حين أخذت براعم الزهر تفتح ، والطيور تُعي أعاريد الحب والغزل .

وتبما كنتُ أتمتع بمناظر الطبيعة وأصواتها الساحرة ، سمعتُ صوتًا أحمل من صوت أي طائر . كان هو صوت لوزنا دون . واختأتُ خلف الصخور حتى لا تراهي الشادية العاتية فتحاف وتصر هاربة . وما هي إلا دقائق معدودة حتى أخرجتُ رأسي من وراء الصحرة فرأيتُ منظرًا فريدًا لا ترأى دكره حية في خاطري إلى اليوم .

كانت لوزنا دون قادمة نحوي على الطريق الذي إلى جانب النهار . لم

أستطيع أن أرى وجهها تمامًا ، وإنما لمحتُ شعرها الأسود الرائع الجمال يُحيط به إكليل من الأزهار البيضاء . وكان الضوء الشاحب فوق الشلال العربي يُلقي بظل خلفها ، كما لو كانت الشمس الغاربة تتباطأ في الرحيل لتتروَّد منها بظرة أحيرة . وآلآن ، وبعد أن تقدَّمتُ في العمر ، ما زال مشهد الشمس عند الغروب يُذكرني بلوزنا دون في ذلك اليوم المشهود .

خرجتُ من خنف الصخور ، فلما رأيتُ استدارت كما لو كانت تنهياً للمهرب ، إذ يبدو أنها ارتفعت من ضحامة جسمي . وسقطتُ على العشب ، كما سقطتُ أمامها منذ سبع سنوات مضت ، عندما صنعتُ إلى قمة الشلال لأول مرة ، وصيحتُ قائلاً : « لوزنا دون ! » وأدركتُ من صرختها الرقيقة أنها قد عرفتني ، وأنها سرَّت برؤيتي . غير أنها تظاهرت بالعصب وصاحت قائلة : « يا للعجب ! ومن تكون يا سيدي ؟ وكيف عرفت اسمي ؟ »

أحبتها : « أنا حور رد ، ذلك العلام الصغير الذي أعطاك نعص السمك منذ سبع سنوات . »

قالت : « أجل ، أذكر ذلك العلام الصغير الذي كان مرثعًا جدًا يومئذ ، والذي احتبأ هنا في الماء . ولكن يبدو أنك قد نسيت أن هذا المكان بالمحطورة . »

لاحظتُ خوفها . فقد كانت تحشى أن يراني أحد أفراد عائلتها فيطلق



سَوْفَ أُحِبُّهَا إِلَى الْأَبَدِ ، وَلَكِنِّي أَشْعُرُ أَنِّي لَسْتُ جَدِيرًا بِهَا . وَرَأَيْتُ أَنَّهُ مِنْ  
الْأَفْضَلِ أَنْ أَغَادِرَ الْمَكَانَ فِي الْحَالِ ، فَقُلْتُ :

« سَوْفَ أَمْضِي يَا أَيْسَةُ لُورَنَّا ، لِأَنِّي أَرَى أَنَّكَ حَائِفَةٌ ، وَأَعْرِفُ مِقْدَارَ  
الْأَلَمِ الَّذِي قَدْ يُصِيبُكَ إِذَا مَا أَتَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَقَتْلَنِي الْآنَ ، كَمَا أَعْرِفُ أَنَّ أُمِّي  
سَوْفَ تَمُوتُ حُزْنًا إِذَا مَا وَقَعَ ذَلِكَ . وَلَكِنْ حَاوِلِي أَنْ تَذْكُرِينِي بَيْنَ الْحَيَيْنِ  
وَالْآخِرِ ، وَأَعِدْكَ بِأَنِّي سَوْفَ آتِي ثَانِيَةً ، وَأُخْضِرُ لَكَ هَدِيَّةً مِنَ الْبَيْضِ  
الطَّازِجِ . »

أَجَابَتْ : « أَشْكُرُكَ كَثِيرًا ، وَلَكِنْ يَجِبُ الْأَنْ تَحْتَ عَنِّي عِنْدَمَا تَأْتِي  
يَكْفِي أَنْ تَتْرَكَ الْبَيْضَ فِي الْمَخْبِئَةِ الصَّغِيرِ الَّذِي عَمِلْتَهُ بَيْنَ الصُّخُورِ . »

عِنْدَ الْوَدَاعِ اتَّسَمَتْ لِي اتِّسَامَةٌ رَقِيقَةٌ مُشْرِقَةٌ تَقَدَّتْ إِلَى أَعْمَاقِ قَلْبِي  
وَمَدَّتْ لِي يَدَهَا فَلَمَسْتُهَا بِرِقَّةٍ ، ثُمَّ مَضَيْتُ أَهْبِطُ الصُّخْرَةَ .

لَمْ أَسْتَطِيعْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا طَوَالَ الْأُسْبُوعِ التَّالِيِ سِوَى أَنْ أُحْلِمَ وَأُحْلَمَ  
بِلُورَنَّا . لَمْ أَسْتَطِيعْ أَنْ أُرَكِّزَ فِي أَيِّ عَمَلٍ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ ، وَظَنُّ الْجَمِيعِ أَنِّي  
مَرِيضٌ . وَقَالَ خَادِمُنَا جُونُ فَرَايَ لِلنَّاسِ إِنَّ كَلْبًا مَسْعُورًا قَدْ غَضَنِي ،  
وَكَادَتْ أُمِّي أَنْ تُصَدِّقَ هَذَا الْكِبَاءَ . وَفِي الْمَسَاءِ كَانَتْ أُمِّي تَجْلِسُ إِلَى جَانِبِي  
وَتُوجِّهُ إِلَيَّ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً ، وَكُنْتُ زَاهِدًا فِي الْإِجَابَةِ عَنْ أَيِّ سُؤَالٍ . كُنْتُ  
أُرِيدُ فَحَسَنْتُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى جِوَارِ الْمِدْفَاقَةِ وَأَفَكِّرَ فِي لُورَنَّا دُونَ .

الْبَارِ عَلَيَّ فِي الْحَالِ . وَكَانَتْ عَيْنَاهَا اللَّامِعَتَانِ السَّاجِرَتَانِ مُتَّجِهَتَيْنِ نَحْوِي  
طَوَالَ الْوَقْتِ وَهِيَ تَتَحَدَّثُ . وَلَمْ أَتِمَّكَزْ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهَا . كُنْتُ أَجِسُّ أَنِّي



## الفصل الحادي عشر

### قصة لورنا

ما إن مرَّ أسبوعان حتى مأل الجؤ إلى الدفء ، وحلَّ الربيع بكلِّ سحره وجماله ، وانحصرت الحقول ، واكتست جواث اللال بأزهار راحية جميلة .

ذهبت ذات يوم إلى شجرة عتيقة ، وحفرت على جذعها هذين الحرفين : ل . د . ويئسما كنت أفعل ذلك ، تملكنتي رغبة قوية في أن أرى لورنا مرة أخرى ، فتوجهت في هدوء إلى البيت ، وأخرجت ملابس الحديدية . وحرصت ألا ترائي شقيقتاي خارجاً في هذه الملابس ، فذهبت لارتدائها وراء بعض الشجيرات خلف المنزل . وأخرجت قاصدا عاباً باعوردي وصعدت النهر إلى أن بلغت صخرة اللال ، ثم تسلقت الصخرة بصعوبة بالغة ، إذ كانت المياه تتدفق عليها بشدة . وما إن جلست على القمة لأستريح تحت ظلال الأشجار حتى رحت في نوم عميق .

استيقظت على صوت خرير المياه الحارية في نهير صغير إلى حابي ، فرأيت لورنا واقفة أمامي تحجب عني أشعة الشمس . وسرعان ما تناولت يدي لتساعدني على النهوض قائلة : « هل جئت يا سيد رد ؟ »

أجبت : « لست مجنوناً ، وإنما أنا نصف نائم . »

قالت : « إذا ، هيا نتعد عن هذا المكان حفاظاً على حياتك . فسوف يأتي الحراس إلى هنا حالاً . اسرع يا سيد رد ودعي التمس لك محباً . »

قلت : « لن أتحرك خطوة واحدة من هنا إلا إذا دعوتني بأسمي الأول : جون . »

فقلت : « حسناً ، إذا أسرع يا سيد جون رد إذا كنت تريد الإبقاء على حياتك . » وقادنتي ، دون كلمة أخرى ، إلى مخيئها بين الصخور . ورأيت ثانية تلك الخطوة التي سلكتها منذ سنوات . كانت هناك بضعة درجات حجرية منحوتة في الصخر ، وإلى جانبها بعض الشجيرات القصيرة السمكية . وأزاحت لورنا الشجيرات جانباً ، كاشفة عن طريق صغير يمر خلال الصخر .

تبعتها في جهد شديد بسبب ضخامة جسمي التي لم تكن تناسب ضيق المكان . وضجكت لورنا عندما رأت المحاولات التي بذلتها لكيلا تضطدم ركبتي وذراعي كثيراً بالصخر ، فغضبت لذلك . ولم تلبث أن أتينا إلى فسحة صغيرة نديعة تظللها السماء الزرقاء ، وتحف بجوانبها الصخور العالية . وكنت مستغرقاً في التمتع بجمال تلك الفسحة ، حين فاجأني لورنا بالسؤال ضاحكة :

« أين البيض الطازج يا سيد رد ؟ أم أن الدجاجة الرزقاء لم تعد تبص ؟ » لقد ظنت لورنا أنني نسيْتُ ذلك الأمر ، غير أنني كنت أحتفظ بالبيض في قبعتي ، وقدمته إليها قائلاً : « كان في إمكاني أن أحضر لك أكثر من هذا ، ولكنني خشيت أن ينكسر في الطريق . »

ما إن رأت لورنا البيض حتى أجهشت بالبكاء . وخشيت أن أكون قد جرحت شعورها بكلمة غير مقصودة ، ولكنني قالت موضحة سبب



بُكَائِهَا : « لَمْ يَسْبِقْ أَنْ عَامَلَنِي أَحَدٌ بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّقَّةِ . إِذْ لَا يَعْرِفُ الرِّقَّةَ أَحَدٌ فِي هَذَا الْمَكَانِ . »

جَلَسْنَا فَوْقَ صَخْرَةٍ ، وَأَخَذْتُ لُورِنَا تُحَدِّثُنِي عَمَّا كُنْتُ أَوْدُ أَنْ أُعْرِفَهُ عَنْ حَيَاتِهَا . وَبَدَأَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً :

« هُنَاكَ شَخْصَانِ فَقَطْ فِي هَذَا الْوَادِي كَثِيرًا مَا يُسَاعِدَانِنِي أَوْ يُجِيبَانِ عَنْ أَسْئَلَتِي : أَحَدُهُمَا جَدِّي سِيرُ إِنْسُورْ دُون ، وَالثَّانِي حَكِيمُ الْأُسْرَةِ أَوْ مُسْتَشَارُهَا الَّذِي يُقَدِّمُ لِأَفْرَادِهَا الْمَشُورَةَ فِي الْمَوَاقِفِ الَّتِي تُسْتَدْعِي ذَلِكَ . وَجَدِّي رَجُلٌ بَعُجُورٌ شَدِيدٌ الْاِعْتِزَازِ بِنَفْسِهِ ، يَعْرِفُ الْخَطَأَ مِنَ الصَّوَابِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يُجِبُ إِطَالَةَ النَّظَرِ فِي التَّحْدِيدِ بَيْنَهُمَا . أَمَّا الْمُسْتَشَارُ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ كَثِيرًا ، لِأَنَّهُ مُعَرِّمٌ بِالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ .

« وَمُنْذُ أَنْ مَاتَتْ عَمَّتِي سَابِينَا لَا أَجِدُ أَحَدًا أَتَّحَدَّثُ إِلَيْهِ . إِنَّمَا لِمَتْلِكَ وَادِيَا رَائِعَا ، وَأَنَا أَحِبُّ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ ، كَمَا أَحِبُّ الْهُدُوءَ وَالْقِرَاءَةَ ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا يَدُورُ حَوْلِي هُنَا هُوَ الْقَتْلُ وَالنَّهْبُ وَالْكَلَامُ الْخَشِينُ الْبَذِيءُ . وَكَثِيرًا مَا يَدْعُونَنِي هُنَا بِالْمَلِكَةِ وَيَرْغُمُونَ أَنِّي سَأَكُونُ مَلِكَةً عَلَى هَذَا الْوَادِي . غَيْرَ أَنِّي لَا أَشْعُرُ بِالْإِتِمَاءِ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَقْتُ مَسَلَكَهُمْ فِي الْحَيَاةِ . وَهُنَاكَ شَخْصٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي ، وَهُوَ كَارْفَرُ ، ابْنُ الْمُسْتَشَارِ . إِنَّهُ أَقْوَى وَأَشْجَعُ الرِّجَالِ فِي آلِ دُون ، وَلَكِنَّهُ أَخَشَّهُمْ وَأَكْثَرَهُمْ وَخَشِيَّةً . وَأَنَا لَا أُحِبُّهُ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يُجْبِرُنِي عَلَى الزَّوْاجِ بِهِ . وَكَثِيرًا مَا يَأْتِي وَيُقَدِّمُ إِلَيَّ جَوَاهِرَ وَحُلِيًّا سَرَقَهَا مِنَ الْآخَرِينَ . »

أَذْرَكْتُ مِنَ النَّظَرَةِ الَّتِي ارْتَسَمَتْ جِئَنِيذٌ عَلَى وَجْهِهِ أَنَّنِي قَدْ سَمِعْتُ

كَارْفَرُ مِنْ قَبْلِ ، إِذْ مَا إِنَّ طَرَقَ اسْمُهُ مَسْمَعِي ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ يُجْبِرُ لُورِنَا عَلَى الزَّوْاجِ بِهِ ، حَتَّى ثَارَتْ ثَائِرَتِي ، وَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّنِي أُخْصِرْتُ بِتُدْقِيتِي لِأَقْتُلَهُ فِي الْحَالِ .

اسْتَأْنَفْتُ لُورِنَا الْحَدِيثَ : « كَانَتْ الْعَمَّةُ سَابِينَا تُؤَيِّسُ وَخَشَنِي ، لَكِنَّهَا مَاتَتْ . وَكَانَتْ أُمًّا رَعُومًا لِي ، وَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كُلَّ مَا أُعْرِفُهُ الْآنَ مِنْ أَشْيَاءَ طَيِّبَةٍ فِي الْحَيَاةِ . لَقَدْ مَاتَتْ مُنْذُ عَامٍ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ ، لَا أَجِدُ مَنْ أَتَّحَدَّثُ إِلَيْهِ سِوَى حَادِمَتِي الصَّغِيرَةِ : جُورِينِي كَارْفَاكْسُ وَهِيَ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ وَجَدَّيَاهَا تَيْنِ الْتَلَالِ وَكَادَتْ أَنْ تَمُوتَ لَوْ لَمْ تُدْرِكْهَا . وَكَانَ أَبُوهَا قَدْ وَلَّى هَارِبًا ذَاتَ يَوْمٍ ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ . وَهِيَ قَبِيحَةٌ الشَّكْلِ جِدًّا ، وَلَا أَخَذَ مِنَ الرِّجَالِ يُحِبُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا . وَهِيَ تُسْتَطِيعُ أَنْ تَجُولَ فِي أَيِّ مَكَانٍ دُونَ أَنْ يَمْنَعَهَا الْحُرَّاسُ .

« وَدَاثَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يُولَيَّةِ الْمَاصِي وَقَعَ لِي حَدِيثٌ رَهيبٌ ، وَكُنَّا تَدَكَّرْنَاهُ شَعَرْتُ بِالْفَزَعِ . كُنْتُ فِي طَرِيقِي إِلَى الْبَيْتِ ، عَائِدَةً مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، عِنْدَمَا خَرَجَ شَابٌّ بَعْتَةٌ مِنْ خَلْفِ الْأَشْجَارِ . وَكَانَ يَشْدُو أُنِيفًا فِي رِدَائِهِ الْخَرِيرِيِّ دِي اللَّوْنَيْنِ الْأَخْمَرِ وَالْأَخْضَرِ ، وَكَانَ يَحْمِلُ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَغِيرًا . وَبَادَرَنِي قَائِلًا : ( أَنَا الْلُورْدُ أَلَانُ بَرَانْدِيرُ ، ابْنُ خَالِكَ ، وَقَدْ عَيَّنَتْنِي الْحُكُومَةُ وَصِيًّا عَلَيْكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغِيَ الْخَادِيَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمْرِ . وَسَوْفَ أَقُومُ مِنَ الْآنَ بِتَنْذِيرِ شُؤْنِكَ . )

« أَجَبْتُ بِدَهْشَةٍ : ( أَنْتَ وَصِيٌّ عَلَيَّ ! ) ثُمَّ أَضْفَتُ ضَاحِكَةً : ( وَلَكِنْ كَيْفَ ، وَغُمْرُكَ قَرِيبٌ مِنْ عُمْرِي ! ) فَأَجَابَنِي قَائِلًا : ( لَعَلَّكَ عَلَى حَقٍّ .



إِنِّي أَقْوَى وَأَكْبَرُ سِئًا مِمَّا أُدْو . وَلَوْ هَاجَمَنِي أَشَدُّ الرِّجَالِ فِي آلِ دُون  
لَشَطَرْتُهُ بِصَفَيْنِ !

« قُلْتُ عَلَى الْقَوْرِ : ( إِخْفِضْ صَوْتَكَ ، فَقَدْ يَسْمَعُكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ  
يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ الْآنَ ! ) وَكَانَ الظُّلَامُ قَدْ تَسَلَّلَ إِلَى الْمَكَانِ ، وَكَانَ الْحَوْ  
يُبْذِرُ بِعَاصِفَةٍ شَدِيدَةٍ . وَمَا لَيْتَ الشَّابُّ أَنْ قَالَ : ( يَا أَبَتَا عَمَّتِي الْعَزِيزَةِ ،  
أَعْطِنِي زَهْرَةً وَاحِدَةً كَيْ أَتَذْكُرَكَ وَسَوْفَ أَعُودُ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ . )  
« فَجَاءَتْ هَطَطٌ عَلَيْنَا كَارِقَرُ دُونِ صَدِيقِنَا : ( هَذَا مَا لَنْ تَفْعَلَهُ أَبَدًا ! )

« وَأُخِذَ الْآنَ بَيْنَ دِرَاعَيْهِ ، وَرَفَعَهُ إِلَى أَعْلَى كَمَا يَرْفَعُ طِفْلًا صَغِيرًا ، ثُمَّ  
اِخْتَفَى بِهِ فِي جَوْفِ الظُّلَامِ . وَسَمِعْتُ صَوْتَ ارْتِطَامِ جِسْمٍ ثَقِيلٍ بِالْأَرْضِ ،  
وَلَمْ أَسْمَعْ صَرَخَةً ، غَيْرَ أَنِّي عَرَفْتُ مَا حَدَثَ : فَقَدْ لَقِيَ الْفَتَى الْمُسْكِينُ  
مَصْرَعَهُ بِيَدِ كَارِقَرِ ! وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمَّا أَشْعَرُ بِالْأَسَى وَالْوَحْشَةِ . إِنَّ هَذَا  
الْوَادِيَّ يَخْلُو مِنَ الْبَهْجَةِ ، وَلَا تَحْدُ فِيهِ سِوَى الْخُوفِ وَالْتِعَاسَةِ .  
كَانَ اللَّيْلُ قَدْ حَلَّ عِنْدَمَا أَتَيْتُ لُورَنَّا قِصَّتْهَا ، فَقَالَتْ خَائِفَةً : « سَوْفَ  
يَأْتِي آلُ دُونِ . يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ الْآنَ ، وَلَا تَعُدْ قَبْلَ انْقِضَاءِ شَهْرِ . اِنْتَظِرْ  
شَهْرًا ، ثُمَّ عُدْ . »

قُلْتُ لَهَا : « وَلَكِنْ رُبَّمَا اخْتَجَتِ إِلَيَّ قَبْلَ انْقِضَاءِ هَذَا الْوَقْتِ . »  
أَشَارَتْ إِلَى خَجَرٍ أبيضَ كَبِيرٍ قَائِلَةً : « يُمَكِّنُكَ أَنْ تَرَى ذَلِكَ الْحَجَرَ  
يُوضَحُ مِنْ أَلْتَلِّ الْمُقَابِلِ . وَسَوْفَ أَصْعُقُ عَلَيْهِ قِطْعَةً مِنَ الْقِمَاشِ الْأَسْوَدِ إِذَا  
اِخْتَجَتِ إِلَيْكَ . »

وَسَارَتْ مُسْرِعَةً بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَهَطَطْتُ الصَّخْرَةَ عَائِدًا إِلَى مَنَزِلِي .



قال الرَّحُلُ : « نَعَمْ ، أَنَا جَائِعٌ ، عَيِّرْ أُنْسِي لَنْ أَتَاوَلَ أَيَّ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ  
قَبْلَ أَنْ أَرَى جُودَ رَدِّ بَعِيَّتِي رَأْسِي . »

## الفصل الثاني عشر

جبريمي سيكلز

اقْتَرَبَ شَهْرُ الْإِنْتِظَارِ مِنْ نِهَائِهِ . وَكُنْتُ أَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ لِأَرَى الْخَحْرَ  
الْأَبْيَضَ ، وَأَنَا دَائِمٌ أَتَفَكِّرُ فِي لُورْما دُون . وَكَانَ يُورِّقُنِي الْخَوْفُ مِنْ أَنْ  
يَمُوزَ بِهَا دُوبِي أَحَدَ الشُّبَّانِ الْفُلَّاءِ مِنْ ذَوِي الْأَصْلِ الْعَرِيقِ .

فِي عَصْرِ أَحَدِ الْأَيَّامِ ، وَبَعْدَ أَنْ فَرَعْتُ مِنْ إِطْعَامِ الْخَيْلِ ، رَأَيْتُ وَأَنَا عَائِدَةً  
إِلَى الْمَنْزِلِ رَجُلًا قَادِمًا عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّهْرِ . وَظَنَنْتُهُ أَحَدَ  
الْمُسَافِرِينَ ، وَلَكِنَّهُ تَوَقَّفَ عِنْدَ بَوَايَةِ مَنْزِلِنَا ، وَلَوَّحَ بِشَيْءٍ مَا فِي يَدِهِ صَائِحًا :  
« بِاسْمِ الْمَلِكِ ! » وَمَا إِنْ رَأَيْتُ حَتَّى صَاحَ ثَانِيَةً : « تَعَالِ يَا قَتِي ! » وَسِرْتُ  
نَحْوَهُ فِي بُطْءٍ ، إِذْ كُنْتُ لَا أُحِبُّ أَنْ أَسْرِعَ إِلَى أَيِّ فَرْدٍ .

سَأَلَنِي الرَّجُلُ : « هَلْ هَذِهِ مَزْرَعَةُ رَدِّ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « أَجَلْ ، يَا سَيِّدِي . إِنَّهَا مَزْرَعَةُ رَدِّ . تَفَضَّلْ بِالْدُخُولِ لِنَقْدَمَ لَكَ  
الطَّعَامَ . »

كَانَ الرَّجُلُ فِي حَوَالِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمرِهِ ، وَتَدَوَّى عَلَى وَجْهِهِ سِمَاتُ  
الضَّرَامَةِ ، وَلَهُ عَيْنَانِ صَغِيرَتَانِ سَرِيعَتَا الْحَرَكََةِ .

صَبَحْتُ مُنَادِيًا آتِي لِتُعِدَّ لِلرَّجُلِ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ يَتَاوَلُهُ عَلَى الْعَدَاءِ .





أَجَبْتُ : « لَقَدْ رَأَيْتُهُ لِلتَّو . أَنَا جُون رِد . »

قَالَ الرَّجُلُ : « وَأَنَا جِيرِيمِي سِتِكِلَر ، حَادِمُ الْمَلِكِ . بِاسْمِ الْمَلِكِ ،

أَعْطَيْكَ هَذَا الْأَمْرَ . » نَاوَلَنِي الرَّجُلُ خِطَابًا يَأْمُرُنِي بِالتَّوَجُّهِ إِلَى لَنْدَنَ لِإِذْلَاءِ  
لِقَضَاةِ الْمَلِكِ بِكُلِّ مَا أُعْرِفُ عَنْ آلِ دُون ، وَعَنْ أَعْمَالِهِمُ الْمُحَالِمَةِ لِلْقَانُونِ .

انْتَبَهْتُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ عَلَى أَمَلٍ أَنْ أَرَى الْإِشَارَةَ الْمُتَّفِقَةَ عَلَيْهَا مَعَ لُورْنا دُون  
وَلَمَّا نَمَّ أُرَيْتُ الْإِشَارَةَ ، بَدَأْتُ الرَّحْلَةَ إِلَى لَنْدَنَ مَعَ جِيرِيمِي سِتِكِلَر .

## الفصل الثالث عشر

### زِيَارَتِي لِللندن

كَانَتْ الرَّحْلَةُ إِلَى لَنْدَنَ فِي يَتِكَ الْأَيَّامِ طَوِيلَةً وَمَحْصُوفَةً بِالْمَخَاطِرِ

وَصَلْنَا إِلَى بُورْلُوكِ فِي مَوْعِدِ الْعَدَاءِ . وَقَضَيْنَا اللَّيْلَ مَعَ أَحَدِ أَقَارِبِ أُمِّي فِي  
بَلَدَةِ دَنِسْتَر ، ثُمَّ تَوَخَّيْنَا إِلَى بَرْدخَوْتَر . وَهَكَذَا وَاصْنَا السَّفَرَ يَوْمًا تَعَدُّ يَوْمًا  
إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ لَنْدَنَ .

لَمْ تَجِدْنِي لَنْدَنَ ، وَلَمْ يُعْحِشِي فِيهَا سِوَى نَهْرِ التَّيْمَرِ ، أَمَّا الشُّوَارِعُ فَقَدْ  
كَانَتْ قِدْرَةً ، صَاحِبَةٌ تَعْبُحُ بِالنَّاسِ

مَكَثْتُ فِي لَنْدَنَ شَهْرَيْنِ حَتَّى كَادَتْ تُقَوِّدِي أَنْ تَنْفَدَ . وَذَهَبْتُ إِلَى  
الْمَحَاكِمِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ دُونَ أَنْ أَتِمَّكَ مِنْ إِذْلَاءِ بَاقَوِي أَمَامِ الْقَاضِي ، وَدُونَ  
أَنْ أَجِدَ أَحَدًا يَرِيدُنِي إِلَى مَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ .

بَيْنَمَا كُنْتُ جَالِسًا فِي قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ ذَلِكَ يَوْمًا ، جَاءَنِي رَجُلٌ وَقَادَنِي إِلَى  
مَكَانٍ هَادِئٍ حَيْثُ بَادَرَنِي بِالْحَدِيثِ قَائِلًا : « حَسَنًا يَا جُون ، كَيْفَ حَالُ  
أَمْلِكَ الْعَزِيزَةِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَمْ أَرَهَا مُنْذُ شَهْرَيْنِ . » وَتَظَاهَرَ الرَّجُلُ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَسْرَتي حَقَّ  
الْمَعْرِفَةِ ، فَأَنْسَيْتُ إِلَيْهِ ، وَأُطْلَعْتُهُ عَلَى مَا أَلَاقِي فِي الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ ، مِنْ  
صُعُوبَاتٍ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْتُ كُلَّ مَا كُنْتُ أُحْمِلُ مِنْ ثَقُودٍ . وَاسْتَمَعَ الرَّجُلُ إِلَى  
شِكْوَايَ ، وَصَمَتَ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ لِي إِنَّ الْحُكُومَةَ مُتَّزِمَةٌ بِأَنْ تُرَدَّ إِلَيَّ كُلُّ مَا



أُفْقْتُ مِنْ نُقُودٍ عَلَى الْبَسْتَنِ وَالْعِذَاءِ أَثَاءَ إِقَامَتِي فِي لَنْدُنَ ، وَإِنَّهُ عَلَيَّ أَنْ  
أُطْلَبَ مُقَاتِلَةَ الْقَاضِي الَّذِي أَمَرَنِي بِالْمَحْيَاءِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ .

شَكَرْتُ الرَّجُلَ ، وَشَرَعْتُ فِي مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْسَكَ بِذِرَاعِي  
قَائِلًا : « يَجِبُ أَنْ تُدْفَعَ لِي أَجْرُ هَذِهِ الْإِسْتِشَارَةِ : أَرِيدُ جُنَيْهَيْنِ . »

شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، فَقَدْ كُنْتُ لَا أُحِيلُ نُقُودًا وَقُلْتُ بِصَوْتٍ  
تَشْوِيبُهُ الدَّهْشَةُ : « لَيْكَ يَا سَيِّدِي ، سَأَلْتَنِي عَنْ صِحَّةٍ وَالذَّنِي . لَقَدْ كُنَّا  
تَبَادُلَ حَدِيثًا وَذِيًا فَحَسَبُ ! »

رَدُّ قَائِلًا : « وَهَلْ تُظُنُّ أَنْ لَدَيَّ وَقْتُاً أَضِيعُهُ فِي الْأَحَادِيثِ الْوُدِّيَّةِ ؟ إِنْشِي  
رَجُلُ أَعْمَالٍ . هَيَّا أَخْرِجْ نُقُودَكَ ، يَا جُون رِد . لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُحْصَلَ عَلَى  
جُنَيْهَيْنِ . »

شَعَرْتُ بِالْعُظْبِ ، فَأَحْبَبْتُهُ عَلَى الْقَوْرِ : « حَسَنًا ، لَقَدْ أُخْبِرْتَنِي بِأَنَّ  
الْحُكُومَةَ مُلْزَمَةٌ بِدَفْعِ تَكَالِيفِ إِقَامَتِي هُنَا فِي لَنْدُنَ . تَعَالَ مَعِي إِذَا لُطِّلِعَ  
الْقَاضِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ . » وَأَمْسَكَتُ بِذِرَاعِهِ ، وَجَذَبْتُهُ بِشِدَّةٍ نَحْوَ غُرْفَةِ  
الْقَاضِي .

عِنْدَمَا أَذْرَكَ الرَّجُلُ أَنَّنِي سَأْخُذُهُ إِلَى الْقَاضِي ، خَافَ وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ  
جُنَيْهَيْنِ ذَهَبَيْنِ وَوَضَعَهُمَا فِي يَدَيَّ ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا .

خَرَجَ فِي يَدِكَ اللَّحْظَةَ أَحَدُ الْكَتَبَةِ مِنْ غُرْفَةِ الْقَاضِي وَأَمَرَنِي بِالْدُخُولِ ،  
فَدَخَلْتُ الْحُجْرَةَ ، وَوَقَفْتُ أَمَامَ أَقْوَى رَجُلٍ فِي إِنْجِلْتِرَا : الْقَاضِي جِيْفَرِيز .  
لَمْ تُكُنِ الْحُجْرَةُ كَبِيرَةً جَدًّا . وَكَانَ فِي نِهَايَتِهَا ثَلَاثَةُ مَقَاعِدَ عَالِيَةٍ يَجْلِسُ

عَلَيْهَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ ، يَتَوَسَّطُهُمْ رَجُلٌ ضَخْمٌ مَهِيْبٌ ذُو نَظَرَاتٍ حَادَّةٍ عَاصِيَةٍ ،  
هُوَ الْقَاضِي جِيْفَرِيز .





سَأَلَنِي : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فَأَخْبْتُ : « جُونُ رِدِّ الَّذِي اسْتَدْعَاهُ جِيرَمِي  
سِتَكِلَزْ مُنْذُ شَهْرَيْنِ لِلْحُضُورِ إِلَى لَنْدَن . لَقَدْ مَكَنْتُ هُنَا مُدَّةَ شَهْرَيْنِ دُونَ أَنْ  
أَفْعَلَ شَيْئًا ، وَأَرْغَبُ الْآنَ فِي الْعُودَةِ إِلَى قَرْبَتِي نَعْدُ أَنْ نَقْدُ كُلَّ مَا لَدَيَّ مِنْ  
تُقُودِ . »

سَأَلَنِي الْقَاضِي : « أَلَمْ تُسَدِّدْ لَكَ الْحُكُومَةُ نَعْدَ أَجْرِ السَّفَرِ وَتُكَالِيفِ  
الْإِقَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ ؟ »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، يَا سَيِّدِي . »

فَنَادَى الْقَاضِي الْمُوظَّفَ الْمُكْتَفَّ بِخِدْمَتِهِ قَائِلًا : « اذْفَعْ لِهَذَا الرَّحْلِ فِي  
الْحَالِ ، يَا سِبَائِكَ ، وَدَعَّهُ يَعُودُ فِي الْعِدِّ لِمُقَابَلَتِي . »

عُدْتُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى الْمَحْكَمَةِ . وَسَأَلَنِي الْقَاضِي : « هَلْ بُوْخِدُ فِي  
الْإَقْلِيمِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ بَعْضُ اللَّصُوصِ الَّذِينَ يُنْجِفُونَ الْأَدَى بِالنَّاسِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « أَجَلْ ، يَا سَيِّدِي . »

سَأَلَنِي : « وَلِمَاذَا لَا يَنْهَضُ لُورْدُ وَيَشِيْهَالِسُ لِمَحَارَبَتِهِمْ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « إِنَّ آلَ دُونٍ مِنْ أَصْلٍ عَرِيقٍ ، وَهُمْ يَقْطَعُونَ وَاِدِيَا حَصِينًا ،  
وَأَعْتَقَدُ أَنَّ لُورْدَ وَيَشِيْهَالِسَ يَخْشَاهُمْ . »

سَأَلَنِي : « مَا اسْمُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « آلُ دُونٍ ، يَا سَيِّدِي . وَعَدَدُهُمْ أَرْبَعُونَ تَقْرِيبًا . »

صَاخَ الْقَاضِي بِدَهْشَةٍ : « أَرْبَعُونَ مِنْ آلِ دُونٍ ! أَرْبَعُونَ مِنَ اللَّصُوصِ !  
وَمَتَى اسْتَقَرُّوا هُنَاكَ ؟ »

قُلْتُ : « مُنْذُ حَوَالِي ثَلَاثِينَ عَامًا ، يَا سَيِّدِي . »

سَأَلَنِي الْقَاضِي وَهُوَ يَتَفَرَّسُ فِيَّ : « أَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِكَ يَوْمًا أَنَّ لُورْدَ  
وَيَشِيْهَالِسَ قَدْ يَكُونُ صَدِيقًا لِآلِ دُونِ ؟ »

دَهَشْتُ دَهْشَةً شَدِيدَةً ، إِذْ لَمْ تَخْطُرْ لِي هَذِهِ الْبِكْرَةُ مِنْ قَبْلُ ، مَعَ إِنَّهُ مِنْ  
الْمُحْتَمَلِ أَنْ تُكُونَ صَحِيحَةً .

قَالَ الْقَاضِي : « تَبَشَّرْتُ غَيْنَاكَ بِأَنَّ حُونَ رِدِّ بِكُلِّ مَا أُوْدُ أَنْ أُعْرِفَهُ . وَأَرَى  
أَنَّكَ لَمْ تُفَكِّرْ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ . وَالْآنَ ، أُخْبِرُكَ : هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ  
رَأَيْتَ رَجُلًا يُدْعَى ثُومَ فَاجِسَ ؟ »

قُلْتُ : « أَجَلْ ، رَأَيْتُهُ كَثِيرًا يَا سَيِّدِي ، فَهُوَ آهِنٌ عَمِي . »

قَالَ الْقَاضِي : « إِنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ . لَا زَيْتَ فِي أَنَّهُ لَصٌّ ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ  
بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَخْدُمُ الْمَلِكَ بِإِحْلَاصٍ . وَالْآنَ قُلْ لِي : هَلْ هُنَاكَ

أَحَادِيثُ تَدُورُ فِي إِقْلِيمِكَ عَنْ عَصِيَابٍ يُدْتَرِّضُونَ جَلَالََةَ الْمَلِكِ ؟ »  
أَجَبْتُهُ : « كَلَّا ، يَا سَيِّدِي . نَحْنُ قَوْمٌ هَادِثُونَ مُطِيعُونَ ، وَنَخْدُمُ الْمَلِكَ  
بِإِحْلَاصٍ كَمَا يُمَلِّي عَلَيْنَا الْوَاجِبُ . »

قَالَ الْقَاضِي : « هَذَا حَسَنٌ . إِنِّي مُعْجَبٌ بِكَ يَا حُونَ رِدِّ ، فَأَنْتَ رَجُلٌ  
طَيِّبٌ . تَجَسَّتَ آلَ دُونٍ ، وَتَجَسَّتَ لُورْدَ وَيَشِيْهَالِسَ أَيْضًا . وَلَا تَذْكُرْ لِأَحَدٍ  
شَيْئًا مِمَّا جَرَى هُنَا . وَسَوْفَ أُرْسِلُ بِأَحَدِ رِجَالِي إِلَى بَلَدِكَ لِيُطْلِعَنِي عَلَى سَيْرِ  
الْأَحْوَالِ فِيهَا . وَالْآنَ ، عُدْ إِلَى قَرْبِكَ ، وَسَوْفَ أَتَذْكُرُكَ دَائِمًا . »



## الفصل الرابع عشر

### العودة إلى البيت

سافرت بمفردي عائداً من نفس الطريق الطويل إلى إقليم سومرست . ولم أصادف أخطاراً في الطريق ، غير أنني ذهبت لرؤية أختي آلي واقفة في انتظاري على قمة التل الواقع قرب المنزل . وقالت لي إنها كانت تجيء إلى ذلك المكان صباح السبت من كل أسبوع ، لأنها كانت متأكدة من أنني سوف أعود يوم السبت .

قدمت لأمي ولأختي ما اشتريتهن من هدايا في لندن ، فسررن بها ، وسألني أسئلة كثيرة جداً عن تلك المدينة العظيمة . وما لبثت عواطفني وأفكاري أن اتجهت إلى لوزنا في اليوم التالي ، فخرجت مبكراً في الصباح ، وذهبت إلى جيب التل الذي أستطيع أن أرى منه الحجر الأبيض . وكان الحجر مغطى بقطعة من القماش الأسود !

لم أعرف بالطبع متى وضعت لوزنا القماش على الحجر . غير أنني لم أصيغ لخطئة أخرى ، فتوجهت مباشرة إلى الشلال ، وتسلفته داخلاً الوادي . كانت الطيور تغرد في أغصانها تحت شمس الأصيل الذهبية ، وكانت الأشجار تلمع في ضوء الغروب الباهت . ووقفت أنتظر هناك .

أخيراً ظهرت لوزنا من بعيد ، وكانت تبدو صغيرة وجميلة جداً وهي تسير بين الظلال المترامية . وجزيت نحوها غير مبالي بالحراس أو الأخطار

الكثيرة المخدقة لي . غير أن الخوف كان يبدو في عينيها .

قلت في لفتة : « لقد كنت في حاجة إلي إذا ! »

أجابت : « نعم ، ولكن كان ذلك منذ وقت طويل ، كان ذلك منذ شهرين ، وآلآن هيا بنا نتبع عن هذا المكان المكشوف ، ونعال تسير بين ظلال الأشجار . » وقادتني لوزنا إلى مخبئها الأمين .

بدأت حديثها بسؤالي : « لماذا تخلت عني ؟ لقد أعطيتك الإشارة ، ولكيك لم تستجب ، فلماذا لم تأتي ؟ لقد تركتني للآخرين ليفعلوا بي ما يشاءون . إنهم يحاولون إجباري على الزواج بكارفر ، كما أن تشارلي دون يتطلع إلي ، وجدي يخشى أن يتقائل تشارلي و كارفر من أجلي . »

لن أعيد عليكم ما قلته لها من وعود بالآثار كها مرة أخرى . وقدمت لها الهدية التي أحضرتها من لندن . وسرعان ما صفحت عني ، ووضعنا معاً خطة تراسلني بمقتضاها إذا ما احتاجت إلي .

قالت لي : « وآلآن اذهب يا جون ، لأن الوقت قد حان لنعود إلى أمك . » وأكملت ضاحكة : « يمكنك أن تأتي لتراني مرة أخرى بعد شهرين . » وانصرفت .



## الفصل الخامس عشر

### الحال ريوبين مرة أخرى

عندما عُدْتُ مِنْ وادي آل دُون ، وَجَدْتُ الرِّجَالَ فِي الْمَرْزَعَةِ يَسْتَعِدُّونَ لِحَصِيدِ الْقَمْحِ ، فَاشْتَرَكْتُ فِي الْعَمَلِ مَعَهُمْ .

وَبَيْنَمَا كُنَّا مُنْهَمِكِينَ فِي الْحَصَادِ ، وَصَلَ الْحَالُ رِيُوبِينَ ، مَعَ خَفِيدَتِهِ رُوثَ هَكَابَاك وَكَانَتْ أُمِّي تَرْغَبُ فِي أَنْ أَتَزَوَّجَ رُوثَ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ - كَمَا ذَكَرْتُ مِنْ قَبْلُ - الْوَرِثَةُ لِكُلِّ أُمُورِ جَدِّهَا رِيُوبِينَ .

كَانَ الْحَالُ رِيُوبِينَ مَشْعُولًا بِمِهْمَةٍ خَاصَّةٍ ، وَكَانَ يَخْرُجُ عَلَى جَوَادِهِ مِنْ أَجْلِهَا إِلَى الْتَّلَالِ الْبَعِيدَةِ كُلِّ يَوْمٍ . وَكُنَّا نَسْمَعُ أَقَاصِيصَ غَرِيبَةٍ عَنْ أَشْخَاصٍ تَمَرَّدُوا عَلَى الْمَلِكِ وَيَتَهَيَّأُونَ لِلْقِتَالِ ضِدَّهُ . عِنْدَيْدُ تَذَكُّرْتُ مَا قَالَهُ لِي الْقَاضِي جِيفْرِيرَ فَلَمْ أَتَلَقَّ بِكَلِمَةٍ ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُحْشِي مَا قَدْ يَحْدُثُ فِيهَا بَعْدَ ذَاتِ مَسَاءٍ ، رَأَيْتُ أُحْشِي أَبِي جَالِسَةً بِمُفْرَدِهَا عِنْدَ قَرْ وَالدِّي . وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهَا تَتَطَلَّعُ إِلَى زِيَارَةٍ مِنْ ثَوْمَ فَاجِس . وَأَخَذْتُ أَحَدُهَا عَنْ ثَوْمَ ، وَنَصَحْتُهَا بِالْإِتِّعَادِ عَنْهُ لِأَنَّهُ قَاطِعُ طَرِيقٍ .

انْدَفَعْتُ قَائِلَةً : « وَمَنْ هُمْ آلُ دُون ؟ أَلَيْسُوا قُطَاعَ طَرِيقٍ كَذَلِكَ ؟ »  
وَمَعَ هَذَا قَائَتْ تُحِبُّ وَاحِدَةً مِنْهُمْ .

اعْتَرَتْنِي دَهْشَةٌ شَدِيدَةٌ فَقُلْتُ لَهَا : « لَكِنْ كَيْفَ عَرَفْتِ ذَلِكَ ؟ »

أَجَابَتْ : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ . وَلَكِنْ كَانَ لَدَيَّ إِحْسَاسٌ أَنَّكَ وَلُورُنَا

مُتَحَابَّانِ . أَمَّا الْآنَ ، فَقَدْ تَأَكَّدْتُ مِنَ الْأَمْرِ . »

عِنْدَيْدُ أَخْبَرْتُهَا بِقِصَّةِ حُيِّي لِلُورُنَا بِأَكْمَلِهَا .

لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ خَالِي رِيُوبِينَ فِي الْتَّلَالِ الْبَعِيدَةِ ، وَلَكِنَّهُ سَافَرَ بِمُفْرَدِهِ بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ تَارِكًا رُوثَ لِلنِّقَاءِ مَعَنَا قَتْرَةً أُخْرَى . وَكَانَتْ أُمِّي تُحَدِّثُنِي كَثِيرًا عَنْ رُوثَ وَكُنْتُ أُحْشِي أَنْ أُطْلَعَ أُمِّي عَلَى حُيِّي لِلُورُنَا ، لِإِتِّمَائِهَا إِلَى آلِ دُونِ الَّذِينَ قَتَلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَالدِّي .

عِنْدَمَا قَابَلْتُ لُورُنَا فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ ، دَفَعْتُنِي لِأَنْ أُعِدَّهَا بِأَلَا أُزَوِّجَهَا ثَانِيَةً قَبْلَ مُرُورِ شَهْرَيْنِ ، مَا لَمْ تَبْعَثْ مِنِّي فِي طَلْبِي . وَمَا إِنْ انْقَضَى الشَّهْرَانِ ، حَتَّى أَسْرَعْتُ إِلَى الصُّخْرَةِ أَسَلَّقُهَا . وَبَقِيتُ فِي الْوَادِي إِلَى أَنْ حَلَّ الْمَسَاءُ وَظَهَرَ الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ ، وَلَكِنْ لُورُنَا لَمْ تَأْتِ لِلِقَائِي .

ذَهَبْتُ إِلَى الْوَادِي مَرَّةً أُخْرَى ، أُحْمِلُ إِلَيْهَا هَدِيَّةً مِنَ السَّمَكِ وَالْبَيْضِ . وَوَضَعْتُ الْهَدِيَّةَ فِي حُفْرَةٍ صَغِيرَةٍ تَكْسُوهَا الْحَشَائِشُ قُرْبَ صِيفَةِ النَّهْرِ . وَمَا إِنْ خُتَّانَهَا هُنَاكَ حَتَّى رَأَيْتُ رَجُلًا قَادِمًا نَحْوِي مِنْ بَعِيدٍ ، فَاخْتَبَأْتُ بِسُرْعَةٍ خَلْفَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ .

اقْتَرَبَ الرَّجُلُ ، فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ كَارْقَرُ دُون . وَكَانَ صَارِمَ الْوَجْهِ ، قَاسِيَ الْمَلَامِجِ . إِذَا فَبِهَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُرِيدُ الْزَّوْاجَ بِلُورُنَا !

سَارَ كَارْقَرُ إِلَى صِيفَةِ النَّهْرِ ، وَرَأَى الْحُفْرَةَ الَّتِي تَكْسُوهَا الْحَشَائِشُ وَمَا فِي دَاخِلِهَا مِنَ الْبَيْضِ وَالسَّمَكِ ، فَصَاحَ قَائِلًا : « هَا ! تَشَارِلِي ! إِذَا فَتَشَارِلِي يَتْرَكَ هَدَايَاهُ هُنَا لِلُورُنَا ! »

## الفصل السادس عشر

### السؤال الهام

صَحَوْتُ مُبَكِّرًا فِي الْيَوْمِ الْتَّالِي ، قَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ شَمْسُ أُكْتُوبرِ الَّتِي كَثِيرًا مَا  
نَحْنُهَا السُّحُبُ فِي إِنْجِلِيرَا . وَتَسَلَّقْتُ الصَّخْرَةَ عَلَى حِينِ كَانَ نَوْرُ الصَّخْرِ  
يَعْمُرُ التَّلَالُ . وَكَانَ الشُّتَاءُ عَلَى الْأَتْوَابِ ، وَقَدْ اكْتَسَبَتِ الْأَشْجَارُ بِظِلَالِ  
أَرْجَوَانِيَّةٍ مُذْهِبَةٍ .

وَقَفْتُ أَخِيرًا عَلَى قِمَّةِ الصَّخْرَةِ . وَتَطَنَعْتُ إِلَى الْوَادِي ، فَرَأَيْتُ لُورَنَّا قَادِمَةً  
مِنْ بَيْتِهَا . وَمَا إِنْ رَأَيْتَنِي حَتَّى جَرَتْ إِلَيَّ قَائِلَةً : « هَا قَدْ أَتَيْتُ أَخِيرًا ،  
بِأُحُون ! لَمْ يَكُنْ فِي إِمْكَانِي أَنْ أَتِيكَ بِمَا حَدَّثَ حَتَّى تُغْفِرَ لِي عَدَمَ حُضُورِي  
لِلْفَائِثِ . لَقَدْ أَجْرَوْنِي عَلَى أَنْ أَبْقَى خَبِيسَةَ الْمَرْلِ فِي الْمَسَاءِ »

تَبِعْتُهَا إِلَى مَحَبَّتِهَا دَاخِلِ الصُّخُورِ . وَشَعَرْتُ بِأَنْ أَهَمَّ لِحُظَةٍ فِي حَيَاتِي قَدْ  
دَثَّ : لِحُظَةٍ أَنْ تُصْرَخَ لِي لُورَنَّا بِحُبِّهَا . وَأَحَدْتُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الصَّعَابِ الَّتِي  
نُواجِهُهَا وَالْأَخْطَارِ الْمُخْدِقَةِ بِهَا ، وَلَكِنِّي قَاطَعْتُهَا فِي رِقَّةٍ قَائِلًا : « لَيْسَ هَذَا  
مَا جِئْتُ لِمَعْرِفَتِهِ . »

قَالَتْ مُنْطَاهِرَةً بِأَنَّهَا لَمْ تُدْرِكْ مَا أُرْمِي إِلَيْهِ : « إِذَا كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تُسْأَلَنِي  
عَنْ شَيْءٍ خَاصٍّ ، فَلِمَاذَا التَّرَدُّدُ ؟ »

أَسْرَعْتُ أَسْأَلَهَا : « لُورَنَّا ، هَلْ تُحِبُّنِي ؟ »

أَخْرَجَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْحُفْرَةِ ، وَانْطَلَقَ بِهَا بَعِيدًا . وَانْتَظَرْتُ أَنَا طَوِيلًا بَعْدَ  
ذَلِكَ ، وَلَكِن لُورَنَّا لَمْ تُحْضَرْ . لَقَدْ تَلَّشَى كُلُّ مَا فِي الْمَسَاءِ مِنْ مِخْرِ  
وَجَمَالِ !

أَتَيْتُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مُحَبَّتِ لُورَنَّا ، وَوَقَفْتُ مُنْتَظِرًا قُرْبَ  
الْبَابِ ، وَفَجْأَةً سَمِعْتُ طَلْقَةً بِنْدَقِيَّةٍ ، وَاخْتَرَقَتِ الرُّصَاصَةُ قُبْعَتِي ، وَأَطَارَتْهَا  
مِنْ فَوْقِ رَأْسِي إِلَى الْكَهْرِ حَيْثُ جَرَفَتْهَا مِيَاهُ الْشَّلَالِ . وَأَسْرَعْتُ بِالْإِخْتِيَاءِ  
خَلْفَ إِحْدَى الصُّخُورِ .

خَرَجَ كَارْفَرٍ مِنْ مَحَبَّتِي ، وَجَرَى إِلَى حَافَةِ الشَّلَالِ . وَوَقَفَ عَلَى بُعْدِ مِثْرٍ  
وَاحِدٍ مِنْ مَحَبَّتِي . وَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ ، ثُمَّ صَاحَ : « هَلْ صَرَعَتْكَ هَذِهِ الْمَرَّةُ  
يَا تَشَارَلِي ؟ إِنَّهَا ثَالِثُ مَرَّةٍ أَطْلُقُ فِيهَا الرُّصَاصَ عَلَيْكَ ؟ »

ابْتَعَدَ وَهُوَ يَقْهَقُهُ . وَصَحِيحْتُ أَنَا أَيْضًا - إِذْ رُبَّمَا تَحِينُ فُرْصَتِي يَوْمًا مَا  
لِلْإِطَاحَةِ بِرَأْسِ قَاتِلِ وَالِدِي . وَوَقَفْتُ رَاجِعًا إِلَى الْمَنْزِلِ .

فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، جَاءَتْ خَادِمَتُنَا بَيْنِي ، وَأَشَارَتْ لِي إِشَارَاتٍ غَرِيبَةً . ثُمَّ  
اقْتَرَبَتْ مِنِّي وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِي قَائِلَةً : « لُورَنَّا دُونَ ! » وَتَبِعْتُهَا فِي سُرْعَةٍ إِلَى  
خَارِجِ الْبَيْتِ . وَمَا إِنْ ابْتَعَدْنَا عَنْهُ بِضْعَةِ أَمْتَارٍ حَتَّى قَالَتْ لِي : « أَحْمِلْ إِلَيْكَ  
رِسَالَةً مِنْ لُورَنَّا دُونَ أَتَتْ بِهَا خَادِمَتُهَا : لَنْ نَسْتَطِيعَ لُورَنَّا أَنْ تُقَابِلَكَ فِي  
الْمَسَاءِ ، فَادْهَبْ إِلَيْهَا فِي الصَّبَاحِ . »



أَحَابِثُ : « نَعَمْ ، أُجِيبُكَ يَا حُور ، وَلَكِنْ مَا خَذَوِي هَذَا الْخُبْتُ ؟ إِنْ  
حَيَاتِي مَخْضُوفَةٌ بِالصُّعَابِ وَالْمَحَاطِرِ الَّتِي تَقِفُ حَائِلًا دُونَ رَوَاجِنَا . إِنْ زَوَّجْنَا  
مُسْتَحِيلٌ ... مُسْتَحِيلٌ . »

عِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَخَدْتُ ثَوْبَ فَاجِسٍ هُنَاكَ . كَانَ قَدْ خَضِرَ  
لِيَطْلُبَ مِنْ أُمِّي الرِّوَاخَ بِأُخْتِي آي . وَعِنْدَئِذٍ أَطْلَعْتُ أُمِّي عَلَى قِصَّتِي مَعَ  
لُورِنَا .

## الفصل السابع عشر

### منزل كارفر

فَوَحِشَتْ دَات يَوْمَ بِخُصُورِ سِيكِلَرِ إِلَى نِيْسَا ، وَقَادَتْنِي إِلَى مَكَانٍ فِي الْحَقْلِ ،  
وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ فِي حِدَرٍ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ لَا أَخَذَ بِالتَّقَرُّبِ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ :

« سَتَوْفِ أَطْلَعْتُكَ الْآنَ يَا حُورُ عَلَى سَبَبِ هَذِهِ الرِّبَاةِ الْمُفَاجِئَةِ ، بِمَا أَنَّ  
الْقَاصِي حَيْفَرِيرَ قَدْ سَقَى وَالْمَخِ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ عَنِ الْأَمْرِ . هُنَاكَ رَحُلٌ يُدْعَى دُوقُ  
مُونَمُوتَ بِخَشْدٍ رَحَالًا لِلْقِتَالِ صَدَّ الْمَلِكِ ، وَلَقَدْ أُرْسَلَنِي الْقَاصِي لِجَمْعِ  
مَعْلُومَاتٍ بِهَذَا الشَّانِ ، كَمَا أَنَّكَ مِنْ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ يَصُدِّرَ إِلَيْكَ أَمْرٌ بِالْقِتَالِ فِي  
صَفِّ الْمَلِكِ . »

طَلْتُ لُورِنَا لَعْدَةً أَيَّامٍ تُرْسِلُ بِي الْإِشَارَةَ تِلْكَ الْآخَرَى ، ثُمَّ تَوَقَّعْتُ عَنْ  
دَلِيلٍ . وَتَمَنَّيْتُ الْخَوْفَ وَالْقَنُوقَ ، وَكَانَ خَوْفِي وَقَلْقَمِي يَتَرَايِدَانِ كُلَّ يَوْمٍ .  
وَدَهَشْتُ إِلَى الْوَادِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَظَلَلْتُ أَتَرَقَّبُ حُضُورَهَا دُونَ جَدْوَى .

وَتَوَقَّعْتُ دَات يَوْمٍ دَاخِلَ الْوَادِي ، سَائِرًا بِمُحَاذَاةِ النَّهْرِ ، إِلَى أَنْ أَتَيْتُ إِلَى  
مَنْزِلِ خَجَرِي صَغِيرٍ . كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَنْزِلُ كَارْفَرِ دُونَ . وَتَوَقَّعْتُ  
عِنْدَ بَابِ الْمَنْزِلِ ، وَأَنْصَتُ خَبِيرًا ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ أَحَدٍ بِالْذَّخِيلِ . ثُمَّ دُرْتُ  
حَوْلَ الْمَنْزِلِ ، وَتَفَحَّصْتُ الْأَبْوَابَ وَالتَّوَافِدَ بِدِقَّةٍ . وَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّ  
فَعَلْتُ ذَلِكَ - لِسَبَبٍ سَوَافٍ أَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ .

وَعَرَمْتُ عَلَى أَنَّ اتَّوَعَّلَ فِي الْوَادِي مَرَّةً أُخْرَى بَادِيًا مِنْ أَوَّلِهِ ، لِأَعْرِفَ كُلَّ  
شَيْءٍ عَنْ حَبِيبَتِي لُورِنَا .

## الفصل الثامن عشر

### عبر بؤابة آل دون

دُرْتُ حَوْلَ أَتْلَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْجَنُوبِ ، لِأَتَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِ وَادِي آلِ دُونِ  
عَبْرَ بَوَابِهِ . كَانَتْ الْمَسِيرَةُ طَوِيلَةً ، وَأَوْشَكَ الظَّلَامُ عَلَى الْهَبُوطِ عِنْدَمَا كُنْتُ  
أَقْتَرِبُ مِنَ الْبَوَابَةِ . وَمَا إِنْ بَلَغْتُهَا ، وَوَقَفْتُ مُتَطَلِّعًا إِلَيْهَا حَتَّى بَرَعَ الْقَمَرُ وَغَمَرَ  
بَصَوِّهِ الْمَكَانَ . وَخَطَوْتُ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْخَلْفِ ، لِأَتَوَارَى فِي دَائِرَةِ الظِّلِّ .

رَأَيْتُ شَجَرَةً ضَخْمَةً مُعَلَّقَةً فَوْقَ الْبَوَابَةِ ، يَسْهُلُ اسْتِقْطَاطُهَا عَلَى رَأْسِ أَيِّ  
مُقْتَحِمٍ يُحَاوِلُ اجْتِيَارَ الْبَوَابَةِ إِلَى الدَّخْلِ . وَكَانَ فِي الْبَوَابَةِ ثَلَاثَةُ مَدَاجِلَ لَا  
يَعْلَمُ سِوَى آلِ دُونِ أَيَّامًا مِنْهَا الْمَدْخَلَ الصَّحِيحَ . وَكَانُوا يُعَيِّرُونَ هَذَا الْمَدْخَلَ  
بَيْنَ الْحَيِّ وَالْآخِرِ حَتَّى لَا يَعْلَمَ أَعْدَاؤُهُمْ أَيَّ مَدْخَلٍ يَسْلُكُونَ . وَمِلْتُ إِلَى  
الظِّلِّ أَنَّ الْمَدْخَلَ الْأَوْسَطَ هُوَ الْمَدْخَلَ الصَّحِيحُ فِي وَقْتِ السَّلَامِ فَسَلَكْتُهُ .  
وَاصْتَفَيْتُ ظِلَامَ دَامِسَ . وَسَقَطْتُ فَوْقَ شَيْءٍ صُلْبٍ طَوِيلٍ ، وَتَحَسَّنْتُ ذَلِكَ  
الشَّيْءَ فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ مِدْفَعُ ضَرْخٍ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّي أُسِيرُ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ .  
عِنْدَمَا بَلَغْتُ الْمُتَعَطِّفَ الْتَالِيَّ مِنَ الطَّرِيقِ ، أَبْصَرْتُ اثْنَيْنِ مِنْ آلِ دُونِ  
يَحْرُسَانِ الْمَكَانَ وَيَبِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا بِنُدْفِيَّةٍ . وَكَانَ ثَمَّةَ مَصْبَاحٍ عَلَى الْأَرْضِ ،  
وَكَانَا مُتَهَمِكَيْنِ فِي لُغْمَةٍ مِنَ الْعَابِ الْحَطِّ . وَكَانَ تَشَارِلِي دُونُ هُوَ أَحَدُ  
الرَّجُلَيْنِ . أَمَّا الثَّانِي فَاسْمُهُ فِيلِيسَ - وَلَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ عِنْدَمَا سَمِعْتُ كَلَامًا  
مِنْهُمَا يُنَادِي الْآخَرَ بِاسْمِهِ .

وَسَرَّعَانِ مَا دَخَلَا فِي شِجَارِ عَلَى اللَّعِبِ . وَقَدْ تَشَارِلِي بِكُوبِهِ فِي وَجْهِ  
فِيلِيسَ ، فَسَقَطَ الْكُوبُ فَوْقَ الْمَصْبَاحِ . وَهَذَا صَاحَ فِيلِيسَ قَائِلًا : « لَقَدْ  
كُسِرَ الْمَصْبَاحُ ! اذْهَبْ وَأَخْضِرْ مَصْبَاحًا مِنْ مَنْزِلِ كَارْفَرِ » .

نَهَضَ تَشَارِلِي وَهُوَ يَشْدُو بِأَغْنِيَّةٍ قَصِيرَةٍ غَرِيبَةٍ . وَمَرَّ بِالْقُرْبِ مِنِّي فَلَامَسَ  
مِعْطَفَهُ يَدِي وَتَبِعْتُهُ وَهُوَ يَتَعَطَّفُ دَاثَ الْيَمِينِ وَذَاثَ الشَّمَالِ ، إِلَى أَنْ حَرَحْتُ  
فِي نِهَآيَةِ الْأَمْرِ إِلَى أَرْضٍ مَكْشُوفَةٍ ، وَرَأَيْتُ السَّمَاءَ الصَّافِيَةَ يَتَوَسَّطُهَا النَّدْرُ  
الْمُنِيرُ ، كَمَا رَأَيْتُ أَمَامِي مَنَازِلَ آلِ دُونِ كُلِّهَا .

وَاصَلَ تَشَارِلِي الْسَّيْرَ ، وَأَنَا أَتَّبَعُهُ بَيْنَ الطَّلَالِ . وَمَرَرْتُ بِمَنْزِلِ سِيرِ  
إِنْسُورِ . وَتَوَقَّفَ تَشَارِلِي عِنْدَ مَنْزِلِ كَارْفَرِ . وَفُتِحَ الْبَابُ ، وَأُطِّلَ مِنْهُ كَارْفَرُ  
قَائِلًا : « مَاذَا تُرِيدُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ؟ » فَأَجَابَ تَشَارِلِي : « أُرِيدُ  
مَصْبَاحًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي أَتَكْسَرُ » .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ وَاصَلْتُ سَيْرِي إِلَى أَنْ بَلَغْتُ مَنْزِلَ لُورَنَّا دُونِ ، وَكَانَ مَنْزِلًا مِنْ  
طَائِفَةِ وَاجِدِ . وَلَمْ أَجْزُؤْ عَلَى الْمُنَادَاةِ بِصَوْتٍ عَالٍ خَشْيَةً أَنْ أَجْذِبَ انْتِبَاهَ  
الْحَارِسِ الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَى صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ ، كَاشِفًا مِنْهَا الْوَادِي بِرُمْتِهِ .  
وَمَالَتْ هَذَا الْحَارِسُ أَنْ اتَّخَذَ نَحْوِي مُتَسَائِلًا : « مَنْ أَنْتَ ؟ أَجْنَبِي !  
وَاجِدٌ - اثْنَانِ - ثَلَاثَةٌ ، سَوْفَ أَطِيقُ الرُّصَاصَ » .

كَانَتْ بِنْدَفِيَّتُهُ مُصَوَّبَةً إِلَيَّ . وَشَرَعْتُ أُعْطِي تَبَكَ الْأَغْنِيَّةَ الْقَصِيرَةَ الْغَرِيبَةَ  
الَّتِي كَانَ تَشَارِلِي يُعْنِيهَا مُنْذُ لَحْظَاتٍ ... وَلَمْ أَذِرْ لِمَ فَعَلْتُ ذَلِكَ !! وَلَكِنْ  
مَا إِنْ سَمِعَ الرَّحُلُ الْأَغْنِيَّةَ حَتَّى بَادَرَنِي قَائِلًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ » .



حتى لحادمي حوسي ، بالخروج منه .  
قلت على الفور : « ولكن هبني أن خطرًا ما قد أخذ بك ، فكيف أعرف ذلك ؟ يجب أن تعطيني إشارة . »

فكرت لورنا برهة ، ثم قالت : « هل ترى الشجرة العالية التي بت فيها الطيور سبعة أعشاش ؟ يمكنك أن تراها بوضوح وأنت خارج الوادي . وتستطيع جويني أن تتسلق هذه الشجرة ، ولستوف أدعها تزيل واحدًا من هذه الأعشاش إذا ما تعرضت للخطر ، فإذا رأيت على الشجرة ستة أعشاش فقط ، فاعلم أنني في خطر ، أما إذا رأيت خمسة فحسب فاعلم أنني قد لقيت مصرعي على يد كارفر دون . »

وافترقا بعد وداع حار ، وأخذت طريقي إلى المنزل .



ثم سار عائداً إلى موقعه على الصخرة . وقد عرفت بعدئذ أن هذه الأغنية هي أغنية كارفر دون السريّة التي كان الحراس يعرفونها بها ، وهكذا ظن الحارس أنني كارفر دون .

فتحت لورنا النافذة .

نعد أن تبادلنا التحيّة ، أخبرني بما حدث ، وبالسبب الذي من أجله كُفّت عن إرسال الإشارات إليّ فقالت : « إن جدي سيبر إنسور ، مريض جداً ، وأحشى أن تكون حياته قد اقتربت من نهايتها ! إن المستشار و كارفر هما سيّد الوادي ، وأنا لا أخروّ على معادرة البيت . وهما لا يسمحان ،

## الفصل التاسع عشر

### مؤامرة للاغتيال

كان جيري مي ستيكلز ما زال مقيماً معاً . وكان مسلكه يتسم بالعراية . فقد كان يخرج كل صباح ، ويعود في ساعة متأخرة من الليل ، دون أن يعرف أحد مناً شيئاً عما كان يفعله .

حضر يوم فاحس إلى منزله دات يوم ، وتحدث مع أختي آلي . وخرجت من البيت بمفردي يومئذ ، وأنا أفكر في حفي للورنا ، وفي الحب الذي يربط بين يوم وآلي ، كيف أن حبهما يسير في سهولة ويسر ، على حين يتعثر حنا . وذهبت إلى العاية الصغيرة القريبة من المنزل ، واقتطعت بضعة عيدان من الخشب لتستخدم وقوداً ، ثم اتجهت إلى مجموعة من الشجيرات كانت تنمو على صفة نهير قريب من العاية ، لأستكمل قطع العبدان اللازمة .

بينما كنت مشغولاً في ذلك ، رأيت ثلاثة رجال قادمين من الصفة المواجهة . كانوا يسرون في صمت وهدوء ، كأنهم يقتفون أثر عدو لهم ... وكان هؤلاء الرجال من آل دون !

اختبأت بين الحشائش . وتوقف الرجال ، وتطلع أحدهم إلى الشجيرات قائلاً : « بعضهم كان يقطع عيدان الشجر . » وكان المتكلم هو كارفر دون وإلى جانبه وقف تشارلي دون وكان يرافقهما لورد ويشيهالس .

قال تشارلي : « لا أحد هنا الآن .. يمكن أن نحشي في هذا المكان ، فهو ،

قريب من الطريق الذي يسلكه جيري مي ستيكلز عصر كل يوم . » وأضاف لورد ويشيهالس : « سنتنظر هنا لكي نراه وهو يمر على الطريق ... ولتسوف تكون رحلته هذه آخر رحلة يقوم بها في حياته . »

لقد اتوا لقتل جيري مي ستيكلز ! يجب أن أسرع إذا لتحذيره وإنقاذ حياته . وتسلفت في هدوء إلى خارج العاية ، ثم شرعت في الحري .

كنت أعرف المكان الذي يذهب إليه جيري مي عصر كل يوم . وعدت بأقصى ما أستطيع من سرعة ، والخوف يملكني من أن أسمع في أية لحظة صدى طلقات رصاص تبني بأن جيري مي قد لقي مصرعه . ووصلت أخيراً إلى النل الذي أستطيع أن أرصد منه وادي آل دون . وفجأة شعرت بفوهة لاذية تضغط على خشي .

الفت ورائي قرأيت جيري مي ، وصاح عند رؤيتي : « آه ! أهو أنت !! » ثم أتل تدقيقته متسائلاً : « ما الذي جاء بك الآن إلى هنا ؟ »

أحش : « حش لكلي أنقذ حياتك . هناك ثلاثة رجال من آل دون سيطرون قرب العاية . إنهم يترصدون لقتلك ! »

قال جيري مي : « دغهم يسيطرون ، فلن أستطيع الآن إحصار جنودي المنص عليهم ، كما لن تقوى - أنا وأنت - بمفردنا على مواجهتهم . دغهم إذا يسيطرون . ولكن هذا يعني أننا سوف نضطر لمهاجمة الوادي ، محاربة آل دون في غفر دارهم ، أسرع مما كنت أتصور . »



## الفصل العشرون

### خطة المعركة

في اليوم التالي ، قادني جيريبي إلى خارج البيت ، وأخبرني بسبب قدومه إلينا ، وبالمهمة التي عهد بها إليه في المنطقة .

كان هناك فريق من الناس غاضب على الملك ، ويتألف في غالبيته من الحمقى وصغار السن . غير أن بعض الثورات الكبار كانوا يتولون قيادة هذا الفريق ، يُشارِكهم في ذلك آل دون ولورد ويشيهالس . ولقد أرسل جيريبي سبكلز إلى الإقليم لمعرفة عدد وأسماء هؤلاء الناس الذين يتهبأون للقتال ضد الملك . كما أمر بوضع خطة تمكن جنود الملك من اقتحام وادي آل دون وقتلهم جميعا ، أو طردهم خارج الوادي على الأقل .

عندئذ صيحت في استنكار ، وأنا أفكر في لوزا : « تقتلون آل دون جميعا ! هذا شيء فظيع ! » فقال جيريبي : « أليس ذلك أفضل من تركهم يسرقون أبقاركم ويسلبون نفودكم ؟ كنت أظن أنك ستسر بأن يقتل آل دون جميعا ، ولكنني أراك متبئسا لذلك !! »

أجبت على الفور : « لن أَدْخُل في هذا الأمر ، ولن أعاون في ذلك ، ولن أقاتل في صفكم . »

صاح جيريبي قائلاً : « أترفض مُحاربة العصابة التي قتلَت أباك ؟ إن

الحال ريبين في صفنا ، وقد وعد بأن يقود جنودنا في اقتحام وادي آل دون . »

غير أن حوفي على لوزا كان شديدا . كنتُ أخشى ما قد يحدث لها إذا ما وقعت في قبضة الجُود .

## الفصل الحادي والعشرون

### وفاة سير إنسور

في منتصف شهر ديسمبر اشتدت برودة الخو ، وتساقط الثلج بوزارة .  
وخرجت لأنظر إلى أغشاش الطير التي جعلتها لوزنا إشارة لي . وتطلعت إلى  
تلك الأغشاش ، ودققت النظر فيها ، فلم أر سوى سيرة فقط ! لقد أمرت  
لوزنا حادمتها بنزع واحد منها . إذا فهي في خطر ، وفي حاجة إلي !

كان كلني يقف إلى جانبي ، فعققت في رقبته رسالة قصيرة إلى אחتي آني ،  
وأمرته بالتوجه إلى المنزل . وسرعان ما عاد الكلب يحمل سلة مليئة  
بالطعام . وما هي إلا برهة وجيزة حتى بدأ في الكباح . وتلفت فرأيت شخصا  
يسير فوق الثلج متجها ناحيتي . وكان القادم جويسي ، حادمة لوزنا .

وبادرني قائلة في لهفة : « تعال معي الآن ، فسير إنسور يختضر ، وهو  
يريد أن يراك . »

سألت بدهشة : « يريد أن يراي ! »

أجابت : « أجل ، يريد أن يراك ويتعرف إليك ، قبل أن يموت . »

أرسلت الكلب إلى البيت ، وتبعني جويسي .

تسللنا إلى الوادي عبر طريق سري نخجبه شجيرات كثيفة ملتفة . ولما  
اقتربنا من منزل الرعيم ، مررنا بحارسين من آل دون وتطلع الحارسان إلي

ولكن ما إن أسررت جويني إليهما بوضع كلمات حتى سمعا لي بالمرور .  
وأخيرا بلغنا منزل سير إنسور وفتح الباب ، ودخلت . كانت لوزنا في  
استقبالي .

قالت : « لا تهتم بما قد يقوله جدي . لا تحب عما يسأل ، ولا تحسن  
منه . » وقادني إلى الحجرة الأخرى . وكان سير إنسور جالسا على كرسيه ،  
وقد أصاب جسده الوهن الشديد ، وكان يريق الحياة يلمع في عيني الشين  
تتبعهما علي . ولم يلبث أن سألتني : « أه ! هل أنت جون رد ؟ »

أجبت : « أجل ، أنا جون رد . أرحو أن تكون صحتك في تحسن  
ياسيدي . »

صمت برهة وجيزة ، ثم سألتني : « هل تعرف أن لوزنا دون سليمة  
واحدة من أهل وأغرق العائلات في إنجلترا ؟ وأنت ، أيها الفلاح ، تريد أن  
تزوجها ؟ ! »

زدت في الحال : « لا أعرف أنها سليمة عائلة عريقة ، ولكنني أعرف أن  
آل رد فلاحون طيبون ، مند مثاب السنين ، وقيل أن يصبح آل دون لصوصا  
وسفاحين . »

قال سير إنسور : « هل تعذني بالآ ترى لوزنا مرة أخرى ؟ وألا تتحدث  
معهما مطلقا بعد الآن ؟ نادها إذا . »

خرجت وعدت بلوزنا ، ودخلنا الحجرة مشايكي اليدين . وهما صاح



الْعَجُوزُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا : « آه ، أَيُّهَا الْأَخْمَقَانِ ! »

أَحْسَتْ قَائِلًا : « نَحْنُ سَعْدَاءُ ثَمَامًا بِهَذِهِ الْحِمَاقَةِ الَّتِي تُرْبِطُنَا مَعًا ،  
وَسَتَظَلُّ سَعْدَاءَ بِهَا عَلَى الدَّوَامِ . »

قَالَ الرَّعِيمُ : « لَتَدُمُ عَلَيَكُمَا نِعْمَةٌ هَذِهِ الْحِمَاقَةُ حَتَّى آخِرِ الْعُمُرِ ، فَهِيَ  
أَفْضَلُ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ أَتَمَنَّا لَكُمَا . »

أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ الْفِرَاشَ بِيَدَيْهِ كَمَنْ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ  
وَدَسَسَتْ يَدِي دَاخِلَ الْفِرَاشِ لِأَعَاوِنَهُ فِي النَّحْيِ . وَسُرْعَانَ مَا وَقَعَتْ يَدِي  
عَلَى شَيْءٍ صَلْبٍ مَلْعُوفٍ ، فَنَازِلَتُهُ إِثَاءً . وَتَقَرَّسَ الْجَدُّ بَرَهَةً فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
قَدَمَهُ لِنُورِنَا الَّتِي صَاحَتْ بِدَهْشَةٍ : « يَا إِلَهِي هَذَا هُوَ عِقْدِي الزُّحَاجِيُّ الْكَبْدِيُّ !  
لَقَدْ اخْتَفَطَ لِي بِهِ الْخَدُّ الْغَرِيرُ حَتَّى لَا يَقُتْ بِهِ الْأَطْفَالُ ! وَهَذَا أَيْضًا خَائِمِي  
الْقَدِيمُ الشَّمِيسُ ! »

قَدَمْتُ لِي الْعَقْدَ وَالْخَاتِمَ قَائِلَةً : « اخْتَفِظْ لِي بِالْعَقْدِ ، فَسَيَكُونُ فِي أَمَانٍ  
أَكْثَرَ مَعَكَ . أَمَّا الْخَاتِمُ فَصَعُهُ فِي إِصْبَعِي . »



## الفصل الثاني والعشرون

### طعام للجوعى

اشتد تساقط الثلج ، وسد مجرى النهر ، وملا الطرق ، وارتفع حتى بلغ  
موايد المصارل ، فاضطررنا إلى حفر دروب لنا في الثلج حتى نتمكن من السير  
خارج البيوت . وكاذت مواشينا تهللك من كثرة الثلج المتراصة في الحقول ،  
وكان علينا أن نُسرع لإتقاذها .

كان السير على الثلج الهش غسيرا جدا ، ولكن آني - التي كانت مولعة  
بقراءة الكتب - أخبرتني أن سكان البلاد الباردة يصنعون لأنفسهم ما يسمى  
بقباقيب الثلج ، يتمكنوا من السير بها على الثلج الهش دون أن يغوصوا فيه .  
وصنعت نفسي قباقيب ثلج ، ووجدت بادية الأمر أن السير به شاق للغاية .  
ولكن لم ألبث أن تمرنت على المشي به . ثم استطعت أن أجري به فوق الثلج  
بعد ذلك .

صعدت إلى قمة التل المعروف ، ونظرت إلى وادي آل دون ، فرأيت  
الثلج يغطي كل شيء . عندئذ أخذت أفكر في لورنا وفي أنها قد تكون حبيسة  
البرد ، تقاسي من الوحدة والبرد .

وعرمت على ريارتها في دارها ، خاصة إني كنت في مأمن جيبئذ من آل  
دون الذين لم يعادروا مصارلهم في مثل ذلك الجوع القارس . وشرعت في  
اختراق الثلج متجها إلى بيتها .

بعثت بابها ، وناديت .

تساءلت جويني : « من بالباب ؟ »

أجبت : « جون رد ! » فقالت جويني : « صنع إصبعك في ثقب الباب  
، في الحائط ، وإذا كنت أحدا غير جون رد فسوف أقطع إصبعك . »  
مسحككت ، وأريتها إصبعي ، ففتحت لي الباب . وسألتها وأنا أسير إلى  
الداخل : « ما معنى هذا يا جويني ؟ »

أحابت على القور : « معناه أننا حبيستنا الدار ، وأن بطنيا خاويان  
تماما . نحن في حاجة ماسة إلى طعام ، فالجوع يقرصني حتى إني أريد  
الآن أن أأكلك ! »

أخرجت قطعة كبيرة من الخبز وناولتها إياها ، فالتهمتها مثل حيوان  
بهيم .

بوخت إلى لورنا ، وكانت مستلقية فوق مقعدها مغمضة العينين .  
« مدمت لها خيرا وماء ، ففتحت عينيها وبدأت تأكل . ولم تلبث أن قالت :  
« لم أكن أتوقع أن أراك ثانية كنت أترقب الموت في كل لحظة ، وكنت  
أحس أنني سوف أموت دون أن تذري بذلك . لقد اختحرتا كالأرقر دون ،  
واقسم ألا يدعني أغادر المنزل إلا إذا تزوجت . »

كان معي مربي من الطعام ، فقدمته لهما ورخت ألتحدث على حين كانت  
لورنا وجويني تأكلان . وقالت لورنا بعد أن قرعت من تناول الطعام :



« ثَعَالِ إِلَى النَّافِذَةِ وَشَاهِدْهُمْ يُشْعِلُونَ النَّارَ الْكُثْرَى . لَقَدْ نَصَّوْا كَارْفَرٍ زَعِيمًا  
وَقَائِدًا ، وَسَوْفَ يُقِيمُونَ وَليمةً كَبِيرَةً تُكْرِمًا لَهُ . »

وما إنْ عَلِمْتُ بِبِ الْاِحْتِفَالِ الصَّحْمِ ، حَتَّى اخَذْتُ افْكَرُ فِي نَقْلِ لُورْنا إِلَى  
مَنْزِلِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ : فَلَنْ تَكُونَ مُعَادِرَةُ الْوَادِي ، فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ ، مَخْضُوفَةً  
بِالْمَخَاطِرِ ، إِذْ سَيَكُونُ آلْ دُونْ مَشْعُولِينَ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَلَهْوِهِمْ عَنْ  
مُرَاقَبَتِنَا أَوْ رُؤْيَتِنَا .

قُلْتُ لِلْوَرْنَا : « سَوْفَ أَذْهَبُ الْآنَ ، ثُمَّ أَعُودُ بَعْدَ سَاعَتَيْنِ . اخْرُجِي  
مَلَابِسَكَ كُلَّهَا ، وَاسْتَعِدِّي لِلرَّحِيلِ مَعِي . سَأَعُودُ لِأُحْدِكَ إِلَى مَنْزِلِي . »

## الفصل الثالث والعشرون

### لورنا في بيتي

هَبْتُ إِلَى أَلْتِ نَاقِصِي سُرْعَةٍ مُنْكِبَةٍ ، وَطَلَبْتُ إِلَى أُمِّي أَنْ تُدْفِيَ حُجْرَاتِ  
... وَأَعْطِي أُخْتِي ليري مَعْطَفًا صُوفِيًّا بَدِيعًا لِتُرْتَدِيهِ لُورْنا . ثُمَّ قَفَعْتُ  
رَاجِعًا إِلَى الْوَادِي عَبْرَ الْكُلُوجِ الْمُتْرَاكِمَةِ .

سَلْتُ إِلَى مَنْزِلِ لُورْنا وَنَادَيْتُ ، وَلَكِنْ لَمْ أَسْمَعْ حَوَانًا ، فَاقْتَحَمْتُ أَلْبَابَ ،  
وَرَأَيْتُ مَظْطَرًا مُرَوَّعًا .

ثَلَاثَ خُوسِي كَارْفَاكْسِ وَسَطَ الْحُجْرَةِ تُنْمِسُكَ سَاقِي رَحِيلٍ . وَكَانَ هُناكَ  
رَجُلٌ آخَرٌ يُحَاوِلُ أَنْ يَنْزِعَ لُورْنا عَنْ كُرْسِيِّهَا . أَمْسَكْتُ بِالرَّجُلِ الْأَوَّلِ وَكَانَ  
... وَقدَفْتُ بِهِ مِنَ النَّافِذَةِ ، ثُمَّ حَمَلْتُ الثَّانِي خَارِجَ الْمَنْزِلِ ، وَكَانَ  
... دَوِيْشِيْهَالِسَ ، وَقدَفْتُ بِهِ وَسَطَ الْكُلُوجِ . وَاصْطَحَبْتُ لُورْنا وَخُوسِي  
... إِلَى الْخَارِجِ وَسَرْنَا وَسَطَ الْكُلُوجِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا مَنْزِلِي .

حَدَّثْتُ أُمِّي لاسْتِقْبَالِ لُورْنا وَاحْتَصَصْتُهَا ، وَقَبَّلْتُهَا ، ثُمَّ رَافَقْتُهَا إِلَى الدَّاخِلِ ،  
... أَحْسَنْتُهَا عَلَى كُرْسِيِّ وَثِيرٍ مُرِيحٍ . وَأَعْمَضْتُ لُورْنا عَيْنَيْهَا ، غَيْرَ أَنَّ  
بِهَا الصَّغِيرَةَ الرَّقِيقَةَ تُسَلِّلْتُ لِتُنْمِسِكَ بِيَدِي .

## الفصل الرابع والعشرون

### العقد

تبدأ الثلج في الدوبان ، وأصبح السفر ممكنا ، فحاء ثوم فاحس لرؤية  
آني .

أخبرته بقصة لوزنا ، وكيف أني القيت بسير إنسور وهو على فراش  
الموت . ثم أريته العقد قائلا : « إنه عقد رجائي .. شيء شبيه باللعنة . »

فصاح في دهشة : « نعمة ! إنه مصنوع من أعلى وأندر أنواع آساس ،  
وشمه يفوق ثمن مررعتك بأكملها . »

دخلت لوزنا الحجرة ، فتناول ثوم فاحس العقد قائلا لها : « كم تأخذين  
ثمنًا لهذا العقد ؟ أتكفيك خمسة جنيهاً ؟ »

أحابت لوزنا : « إنه عقد بديع حقًا ، ولكن هذا ثمن كبير . إني لا  
أرغب في بيعه ، فقد ورثته عن والدي . »

أضاف ثوم قائلا : « لو أن هذا العقد بيع في لندن لحصلت على مئة ألف  
جنيه ثمنًا له . »

قدمت لوزنا العقد لأمي قائلة : « هذا يا أمه العريرة هدية متواضعة مني  
إليك ؛ إذ لا شيء في الدنيا يساوي ما استعيت علي من حُب وحنان . »

شكرت أمي لوزنا واعتذرت لها في رقة عن قبول العقد ، فدولتني لوزنا  
بها ، وطلبت أن أحتفظ لها به .

في الليلة التالية حاءنا جيري مي سنكلر ، وأخبرنا أن ثلاثة من آل دون قد  
حاولوا قتله ، وأن واحدًا من جنوده أصيب .

كنت أرجح أن آل دون لن يهاجمونا ، في محاولة لاستعادة لوزنا ما  
. الأرض مغطاة بمياه الثلوج الدائبة . ولكني كنت متأكدًا من أنهم  
. ف يأتون ، بمجرد أن تجف الأرض . وأسفت لتركي ثوم فاحس  
. فقد كان زميلًا نافعًا ، ومقاتلًا قديرًا .

حدثت إلى جيري مي في شأن المعركة القادمة ضد آل دون ، فتصحني بأن  
أشد أكر عدي ممكن من الرجال للاشتراك في هذه المعركة . وكنت قد  
أخبرتكم كمية هائلة من الطعام .

في اليوم التالي خرجت على حواذي لاستدعاء جنود سنكلر ولكني لم أجد  
إلا أربعة منهم فقط . وطلعت إليهم الحضور إلى المزرعة في أقصر وقت  
ممكن ، فوافقوا على ذلك ، كما وعدوا بإحضار رحين آخرين معهم من  
الحراس الرابضين في موضع قريب منا .

عدت بسرعة إلى المنزل . وكان ذلك من حسن الخط ، فلقد وقع في  
. حادث خطر : كانت لوزنا قد خرجت إلى حديقة المنزل لتستمع  
شاهدة الأزهار . وفوجئت وهي تعود إلى المنزل ، بعينين تحتلسان المطر



إِلَيْهَا مِنْ خَلْفِ الْأَشْحَارِ - كَانَتْ غَيْثِي كَارْقَرِ دُونِ !

تَسَمَّرَتْ فِي مَكَانِهَا مِنَ الرَّغَبِ . وَفَهَّقَتْ كَارْقَرِ ، ثُمَّ رَفَعَ بَدْقِيَّةَ وَصَوَّنَهَا إِلَى قَبْلِهَا . وَكَانَتْ لَا تَرَاهُ غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى التَّحَرُّكِ أَوْ التَّطَوُّقِ . لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَفَصَ الْبَدْقِيَّةَ بِأَجِيَةِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَطْلَقَهَا . وَتَطَايَرَ التُّرَابُ وَعَمَرَ لُورَبَا . وَسَقَصَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِأَكِيَةٍ . عِنْدَيْدِ سَارِ كَارْقَرِ إِلَى صَيْفَةِ النَّهْرِ الصَّغِيرِ الَّذِي يَخْرِي عِنْدَ نَهَايَةِ حَدِيقَتِنَا ، وَصَاحَ قَائِلًا : « أَمَا لَمْ أَقْتُلْ هَذِهِ الْمَرْءَةَ لِأَنِّي لَمْ أَشَأْ قَتْلَكَ ، كَمَا أَنِّي لَا أَقْدُمُ أَنْدَا عَلَى الْقَتْلِ وَأَنَا فِي سُورَةِ الْعَضْبِ . غَيْرَ أَنِّي سَوْفَ أَقْتُلُكَ وَأَقْتُلُ حُورَ رِدِّ أَيْضًا ، إِذَا لَمْ تَعُودِي عِدَا إِلَى وَادِي آلِ دُونِ ، حَامِلَةً مَعَكَ كُلَّ مَا أَخَذْتَ مِنْ مَنْرِلِكَ هُنَاكَ . » ثُمَّ اسْتَدَارَ وَمَشَى نَعِيدًا إِلَى أَنْ اخْتَفَى عَنِ الْأَنْظَارِ .

حَضَرَ جُودُ سِتِكِلَزِ الْأَرْبَعَةِ ، كَمَا حَضَرَ الْحَارِسَانِ . وَجَمَعْنَا مَزِيدًا مِنَ الْمُؤَبِّ ، وَنَهَيْتُنَا لِلْمَعْرَكَةِ

## الفصل الخامس والعشرون

### مَعْرَكَةُ فِي فَنَاءِ الْمَرْزَعَةِ

كُنَّا سَوْقَ أَنْ يَهْجُمَ آلُ دُونِ عَلَى الْمَنْرِلِ فِي بَلِّكَ اللَّيْلَةِ . فَأَرْسَلْنَا نِسَاءَ أَلَيْتِ لِسُومِ مُسْكَرَاتٍ عَنْ مُوَعِدِهِنَّ الْمُتَعَادِ ، فِيمَا عَدَا جُوبِنِي وَخَادِمَتَنَا الْعَحُورَ بَيْتِي . وَكَانَ الْمَطَرُ قَدْ سَقَطَ غَرِيرًا فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، وَعَطَّتْ مِيَاهُهُ الْأَرْضَ فِي وَادِي آلِ دُونِ - وَلَمْ تُكُنْ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَهْجُمُوا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِيَةِ مِائَتِينَ أَوْ عَشْرَةٍ . كَانَ لَدَيْنَا فِي مُوَاجَهَتِهِمْ ثَمَانِيَةُ رِحَالٍ مُسَلَّحِينَ بِالْبِنَادِقِ وَأَرْبَعَةَ آخَرُونَ يَحْمِلُونَ الْعَصِيَّ وَالسَّكَاكِينَ فَقَطْ .

كَانَتْ أُمِّيْنِي الْكَثْرَى أَنْ التَّقِي بِكَارْقَرِ دُونِ لِأَقَاتِلَهُ بِنَفْسِي . وَكُنْتُ مِنَ الصَّخَامَةِ وَالْقُوَّةِ بَحِثُ اسْتَطِيعُ حَمْلَ أَيِّ رَجُلٍ وَالْإِطَاحَةَ بِهِ نَعِيدًا . غَيْرَ أَنَّ كَارْقَرِ كَانَ مِثْلِي فِي الصَّخَامَةِ وَالْقُوَّةِ ، وَكَانَ مُقَاتِلًا عَنِيفًا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَصَدَّى لِي ، وَيُدِيرَ الْمَعْرَكَةَ صَدِّي بِنَهَارَةٍ . تَسَلَّقْتُ حُوبِنِي إِخْدَى الْأَشْجَارِ لِرُصْدِ حَرَكَاتِ آلِ دُونِ ، وَمَكُنْتُ أَنَا أَنْتَظِرُ . وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ عَادَتْ حُوبِي بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنْ الْوَقْتِ لِنُخْرِي أَنْ عَشْرَةَ رِحَالٍ قَدْ عَمَرُوا النَّهْرَ ، وَأَتَتْهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَيْنَا ، فَعَسَتْ بِالنَّبَا إِلَى حِيرِيمِي سِتَكْلَرُ وَرِجَالَهُ لِيَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ مَعِيَ لِمُلاقَاتِهِمْ . وَصَلَ آلُ دُونِ إِلَى فَنَاءِ الْمَرْزَعَةِ . وَكَانَ جُودُنَا يَكْمُنُونَ لَهُمْ فِي سِتْرِ مِنْ طَلَالِ الْمَنْرِلِ .

وَمَالَ كَارْقَرِ دُونِ مُحَاطًا أَتَشِ مِنْ رِجَالِهِ : « اذْهَبَا أَنْتُمَا ، وَأَشْعِلَا النَّارَ فِي أَكْوَامِ اللَّبَنِ ، حَتَّى تَتَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِهِمْ عَلَى ضَوْءِ اللَّهَبِ . » ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِينَ : « خُذَارِ مِنْ أَنْ يُصِيبَ أَحَدُكُمْ لُورَبَا بِأَذَى ، إِذْ لَنْ أَرُدَّ جَيْتِيذَ فِي

منه إن أوزنا في جماعتي أنا ، وسوف تصبح زوجتي عما قريب .  
كان من السهل حينئذ أن أطلق الرصاص على كارفر ، ولكن يدي لم تقويا  
من ذلك ، منه يشق لي أن قتل إنسانا ، وكنت أكثره أن أكون قاتلا .  
فترب ممي رخلال من آل دون يحملاي أغصانا مشتعلة لإضرام النار في  
نوم الناس . ولما يتصراي سب الدخان المتصاعد من هذه الأعصاب .  
انقضت بسرعة حاطمة على أحد الرجلين ، وكسرت ذراعه ، فسقط  
غصن من يده ، وأحد يصرخ من الألم وتوقف الثاني ، فالتقطت الغصن  
المشتعل وقذفت به في وجهه . وقهر الرجل نحوي فأمسكت به في عنق  
سعد وحصنت عظمه كفه ، وألقيت به فوق رميله .

لما أطلق جنودنا النار ، فأحدث ذلك ذوباً شديداً ، وسقط اثنان من ال  
جند ، وتوقف رشح الآخرين . عندئذ تقدمت عثر فاء المرزعة نحو كارفر  
وقصت على لحيته قائلاً :

« اتدعو نفسك رجلاً ؟ » وحاول أن يصوب نذيقته إلى صدري ، غير  
أنه هوى نذيقه حاطمة على يده فسقط سلاحه على الأرض ، ثم صعقت  
على درعه منده ، ولما أصبح في وجهه : « وآلآن خذ حذر مني يا كارفر !  
جئت أني أضعف منك ، فأنت سادح ، بل وأبله . فذ لا تستطيع أن  
تسلك في الحراج وتحمك ، ونكسي لا أقل عنك قوة . وسوف أثبت لك  
بث نمريلك الآن في التراب ! »

دفعته بعنف إلى الوراء ، فوقع على ظهره . وما إن رأى سائر الرجال  
أنهم صرح للأرض ، حتى لادوا بالفرار تاركين لنا حيولهم وحيتي القنيلين  
مدين صرغهما جنودنا .



## الفصل السادس والعشرون

### زيارة من المُستشار

عفت تلك المَعرَكة بوقت قصير ، لَجق بها مزيد من الجُود ، فلم يَعد يحشَى هُجومًا آخر قد يشهه آل دُون .

دات مساءً ، بَعْد عودتي من تَعقيد المَرزعة على ظَهر الخِواد ، أَقبلت ليزي لمُلاقاتي عِند باب المَنزِل قائلة : « لا تَدْخُل حُجرة أُمِّي آلآن ، فعندي ما سَوف أَقولُه لَكَ . »

سَألتُها : « ما الأمر ؟ هل أَصاب لُورنا مَكروءة ؟ » فَأجابَت : « كَلّا ، غير أَنه حاءٌ صَيِّف مَهِيت ذو شَعر أَشيب ولَحْيَة طويلة بيضاء ، وأَطْرأ أَنه من آل دُون . »

قُلْتُ : « إِنَّهُ المُستشار ! »

ذَهَبْتُ وَعُدْتُ بِلُورنا ، وَدَخَلنا مَعًا حُجرة أُمِّي ، وَكانت واقفةً عِند الباب تَتَحَدَّثُ إلى المُستشار .

سَط المُستشار يَدِيهِ لِلُورنا قائلاً : « إِنَّكَ تَبدين بِخَيْر يا ابنتي العَريزة ! هَيَّا قُني عَمَّكَ . »

أجابَت : « لا أَرغبُ في تَقبيلِكَ ، فرائحة الدُخان تَفوح مِنكَ . » وَصَعَت المُستشار بَرهَةً ، ثُمَّ قالَ : « إِذا فَأَنتِ جُون رِد .. جُون رِد ،

المُقاتِل الشُّجاع الَّذي يُريدُ الزَّواح بِابنتي لُورنا . حَسَنًا ، أُعَتِّقُكُمَا سَتَكُونانِ مَعيدَين مَعًا بِهذا الزَّواج ، فَسيَكُونُ لَدَيكُمَا مَوضوع مُشترَك تَتَحَدَّثانِ فِيهِ دائِمًا : أَلّا وَهُوَ ما فَعَلَ وَالِدُ كُلِّ مِنكُمَا بِالآخر ! »

قُلْتُ : « لَسْتُ أَفهمُ ما تُعني بِهذا الكلام . »

قالَ الرَّجُلُ في نَبرة حاسِمة : « أَغني أَنَّ وَالِدَ لُورنا قَتَلَ أَباك ، وَأَنَّ أَباك قَتَلَ وَالِدَ لُورنا . »

كانَ ذَلِكَ أَطعَ شَيء يُمكنُ أَنْ أَسَمَعَهُ .

قُلْتُ في ذُهلٍ : « وَلَكِنَّكَ تُعرِفُ أَنَّ سِيرَ السُّور واقِعٌ عَلى زَواحي بُلُورنا وَبارَكَهُ ... إِننا مُتَحابِّان ، وَسَنَطُلُ مُتَحابِّين إلى الأَبَد . »

صاحت لُورنا قائلة : « أَنتِ عَلى حَقٍّ يا جُون .. أَنّا لا أَصدِّقُ ما قالَهُ المُستشارُ عَن أبويَا ... إِنّا مُتَحابِّان ، وَلَئِنْ نالَ شَيءٌ في الدُّنيا مِن حُبّا ، أَوْ يَحولُ دُونِ إتمامِ زَواجنا . »

دات المُستشارُ تلكَ اللَّيلةَ في بَيتنا . وَفي الصُّباح ، أَخبرتني لُورنا أَنَّها شَعَرَت أَثناءَ اللَّيل بِحَرَكةٍ غَريبةٍ في المَنزِل ، وَكانَ شَخْصًا يَجوسُ في أَرجائِهِ بِحُنا عَن شَيءٍ مُعَيَّن .

خَرَجْتُ أَني إلى قاعةِ الأَلان قُبيلَ الضُّحى ، فَتَبِعها المُستشارُ . وَطَلَعَ الرَّجُلُ إلى الآنيةِ المَلِيئةِ بِالحَلِيبِ . ثُمَّ قالَ لِأَني : « أَتَعرِفِينَ أَنَّهُ لَو مَرَرْتَ بِعَقْدِ

رُجَاجِي عَلَى صَفْحَةِ هَذَا اللَّيْلِ ، فَسَوْفَ تَتَكُونُ الْقَشْدَةُ عَلَى سَطْحِهِ بِسُرْعَةٍ  
أَكْبَرَ ؟

أُحَاثُ آتِي بِدَهْشَةٍ : « هَذِهِ مَعْلُومَةٌ حَدِيدَةٌ لَمْ أَسْمَعْ بِهَا مِنْ قَبْلُ ! »  
عِنْدَئِذٍ أَسْرَعَ الْمُسْتَشَارُ بِسَأْلِهَا : « هَلْ لَدَيْكَ عَقْدٌ رُجَاجِي ؟ » فَهَتَمَتْ  
آتِي ، وَقَدْ تَمَنَّاكَهَا الْحَمَاسُ لِجَعْلِ التَّخْرِيقِ : « لَوْزَنَا تَمَلِّكَ وَاحِدًا ، وَأَنَا  
أَعْرِفُ مَكَانَهُ . كَانَ حُونَ يَخْتَمِطُ بِهِ يَوْمًا مَا ، وَلَكِنَّهُ فِي حُخْرَةِ لَوْزَنَا الْآنَ ..  
سَأَذْهَبُ لِإِخْضَارِهِ . »

جَرَتْ إِلَى الْمَنْزِلِ ، ثُمَّ عَاذَتْ بِالْعَقْدِ وَطَافَ بِهِ الْمُسْتَشَارُ عَلَى سَطْحِ  
النَّسِ - وَلَمْ يَلَسْ أَنْ خَبَأَهُ تَحْتَ الْبُوعَاءِ قَائِلًا : « أَتُرَكِيهِ هُنَا لِمُدَّةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ،  
وَلَا تُخْبِرِي أَحَدًا بِمَكَانِهِ . »

غَادَرَتْ آتِي قَاعَةَ الْأَلْبَابِ ، وَبَعْدَهَا يَلْحَظَاتٍ عَادَرَهَا الْمُسْتَشَارُ كَذَلِكَ ،  
وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ فِي جَيْبِهِ الْعَقْدَ الشَّمْسِ !

## الفصل السابع والعشرون

### قصة جيري

فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ ذَاتِهِ ، عَادَ جِيرِي سَيَّكِلَرُ لِيُخْبِرَنِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أُعِدَّ لِلْمَعْرَكَةِ  
الْكُتْرَى ضِدَّ آلِ دُونِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِدَوْرِي عَنْ سَرِقَةِ الْمُسْتَشَارِ لِلْعَقْدِ .

وَرَوَى لِي جِيرِي آجَرَ مَا عَرَفَهُ مِنْ جَرَائِمِ آلِ دُونِ ، فَقَالَ : « كُنْتُ فِي  
سُدَّةٍ وَانْثَبْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ . وَالتَّقِيْتُ هُنَاكَ بَسِيدَةَ إِيْطَالِيَّةٍ تُدْعَى بِيْسِيْنَا ،  
وَكَانَتْ تَعْمَلُ حَادِمَةً لَدَى عَائِلَةٍ إِيْطَالِيَّةٍ تَقْطُرُ إِحْدَى مَدُنِ إِيْطَالِيَا . وَحَاءَ إِلَى  
الْمَدِينَةِ لُورْدَ إِنْحَلِيرِي وَتَرَوْحَ ابْنَةَ هَذِهِ الْعَائِلَةِ ثُمَّ أَصْطَحَبَ الْلُورْدَ زَوْجَتَهُ  
وَمَعَهُمَا الْخَادِمَةُ بِيْسِيْنَا إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ الْلُورْدُ كَثِيرَ التَّحَدُّثِ عَنْ عَائِلَتِهِ فِي  
بِنَحْلَتِنَا ، وَرَوَى كَيْفَ فَقَدْ أَحَدَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ كُلِّ أَرْضِيهِ وَأَصْبَحَ مُجْرِمًا  
خَارِجًا عَلَى الْقَانُونِ . وَقَدْ قُتِلَ الْلُورْدُ دَاتِ يَوْمٍ وَهُوَ يَجُولُ عَلَى طَهْرِ خَوَادِهِ .

« رَحِمَتْ زَوْجَتَهُ الْإِيْطَالِيَّةُ ، وَمَعَهَا ابْنَتُهَا الصَّغِيرَةُ ، وَخَادِمَتُهَا بِيْسِيْنَا إِلَى  
بِنَحْلَتِنَا وَوَصَلْنَ إِلَى هَذِهِ الْمُقَاطَعَةِ حَيْثُ اسْتَأْجَرْنَ عَرَبَةً تُقْنَهُنَّ إِلَى مَنْزِلِهِنَّ  
الَّذِي يَقَعُ فِي مَكَانٍ مَا قُرْبَ مَزْرَعَتِكَ . وَخَذَرَهُنَّ السَّائِقُ مِنْ أَنَّ آلَ دُونِ قَدْ  
يَقْطَعُونَ عَلَيْهِنَّ الطَّرِيقَ ، وَلَكِنْ السَّيِّدَةُ قَالَتْ إِنَّهَا لَا تَخْشَى ذَلِكَ ، لِأَنَّهَا تَعْنَمُ  
أَنَّ آلَ دُونِ لَا يُؤْذِنُونَ السَّيِّدَاتِ وَالْأَطْفَالَ . »

« مَرَّتِ الْعَرَبَةُ بِيْلْدَةً وَانْثَبَتْ وَاقْتَرَبَتْ مِنْ شَاطِئِ النَّخْرِ . وَلَاخَ فِي الْأَفْقِ  
حَالٌ عَلَى طُهْرٍ الْحَمَادِ بِتَحْجَهِوٍ نَحْوِ الْعَرَبَةِ ، وَحَاوَلَ السَّائِقُ أَنْ يُسْرِحَ



لِيَتِمَّكَرَ مِنَ الْهَزَبِ . وَلَكِنَّ الْعَحْلَاتِ انْعَزَزَتْ فِي الرُّمَالِ الرَّخْوَةِ .

« وَمَا إِنْ طَهَرَ الرَّحَالُ عَنْ قُرْبِ حَتَّى صَاخَبَتِ السَّيِّدَةُ قَائِلَةً إِنَّهَا تُعْرِفُ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَإِنَّهُ عَدُوٌّ قَدِيمٌ لِأَسْرَتِهَا .

« وَكَانَتْ الْخَادِمَةُ بَيْنِيَّاءُ تَحْمِلُ عُشَّةَ الْخَوَاهِرِ الْخَاصَّةِ بِسَيِّدَتِهَا ، وَفِي دَاخِلِهَا عِقْدٌ مِنْ أَلْمَاسِ الثَّمِينِ . وَلَمَتِ الْعِقْدُ حَوْلَ عُنُقِ آلِئَةِ الصَّغِيرَةِ . وَهَاجَمَ الرُّجَالُ الْعَرَبَةَ ، وَكَانُوا مِنْ آلِ دُون ، فَانْحَدَرَتْ نَحْوَ النَّحْرِ . وَارْتَمَتْ بَيْنِيَّاءُ عَلَى الرُّمَالِ فَاقْدَةُ الْوَعْيِ . وَعِنْدَمَا أَمَاقَتْ كَانَ الرُّجَالُ قَدْ اخْتَصَمُوا حَامِلِينَ مَعَهُمُ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ . أُمَّا السَّيِّدَةُ الْأُمُّ ، فَقَدْ نُقِلَتْ إِلَى بَلَدَةٍ وَانْثَبَتْ حَيْثُ مَاتَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ .

« وَبَقِيَتْ بَيْنِيَّاءُ فِي وَانْثَبَتْ بِمُفَرَّدِهَا بِلا نُقُودٍ ، فَقَدْ نَهَبَ آلُ دُون كُلَّ شَيْءٍ ، كَمَا اخْتَحَرَتْ الْحُكُومَةُ أَرْضِي سَيِّدَتِهَا رَيْثَمَا تَجِدُ وَرَيْثَهَا الشَّرْعِيَّةَ ، إِذْ إِنَّ الْفَتَاةَ الْمَخْطُوفَةَ هِيَ الْوَرِثَةُ الشَّرْعِيَّةُ الْوَحِيدَةُ لِكُلِّ تِلْكَ الْأَرْضِ . »

حِينَئِذٍ تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كُنْتُ عَائِدًا فِيهِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى قَرْيَتِي بَعْدَ مَوْتِ وَالِدِي ، وَتَذَكَّرْتُ الْخَادِمَةَ الْإِيطَالِيَّةَ الَّتِي طَلَبْتُ مِنِّي كُوتَ مَاءٍ لِسَيِّدَتِهَا ، كَمَا تَذَكَّرْتُ كَيْفَ مَرَزْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْعَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا السَّيِّدَةُ ، وَإِلَى حَاسِبِهَا فَتَاةً صَغِيرَةً خَمِيلَةً وَكَيْفَ رَأَيْتُ ، فِيمَا بَعْدَ ، رِجَالًا رَاكِبِينَ الْحِيَادَ وَيَحْمِلُ أَحَدُهُمْ فَتَاةً صَغِيرَةً عَلَى جَوَادِهِ !

إِنَّ لُورَنَّا إِذَا تُنْتَمِي لِأُسْرَةٍ لُورَدَاتٍ عَظِيمَةٍ ، كَمَا تُعْتَلِكُ أَرْضِي شَاسِعَةً

وَقَدْ لَا أُسْتَطِيعُ الزَّوْاجَ بِهَا أَبَدًا . غَيْرَ أَنَّنِي خَرَجْتُ مِنْ قِصَّةِ حِيرِمِي بِشَيْءٍ آخَرَ بِالِغَاثَةِ : لَيْسَ صَحِيحًا أَنْ وَالِدَ لُورَنَّا هُوَ الرَّحُلُ الَّذِي قَتَلَ وَالِدِي . اِمْتَنَطَبْتُ جَوَادِي وَسَافَرْتُ إِلَى وَانْثَبْتُ ، حَيْثُ التَّقَيْتُ بَيْنِيَّاءُ . وَأَرَيْتُهَا الْخَائِمَ الْعَرِيقَ الَّذِي أُعْطَاهُ لِي سِيرُ إِنْشُورٍ . وَعَرَفْتُ بَيْنِيَّاءُ الْخَائِمَ فِي الْحَالِ ، فَقَدْ كَانَ خَائِمَ سَيِّدَتِهَا الْإِيطَالِيَّةِ .

عِنْدَئِذٍ أَتَيْتُ أَنْ لُورَنَّا لَا تُنْتَمِي لِآلِ دُون . إِنَّ اسْمَهَا الْحَقِيقِي هُوَ دِيُوْحَال ، فَهِيَ أُنْثَى لُورْدِ دِيُوْحَال . كَمَا اكْتَشَفْتُ كَذَلِكَ حُطَّةَ آلِ دُونِ الْجَهَنَّمِيَّةِ : فَقَدْ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَتَزَوَّجَ كَارْفَرُ لُورَنَّا حَتَّى يَتِمَّكَرُوا مِنَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى كُلِّ أَرْضِيهَا !

## الفصل الثامن والعشرون

### مَعْرَكَةُ الْوَادِي الْأُولَى

تَهَيَّأَتْ ثَلَاثُ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ لِشَرِّ الْهَجُومِ عَلَى وَادِي آلِ دُونِ :

الْأُولَى سِتُّونَ رَجُلًا مِنْ إِقْلِيمِ سُومَرِسْتِ ، يَرْتَدُونَ مَلَابِسَ صَفَرَاءَ .

الثَّانِيَةُ سِتُّونَ رَجُلًا مِنْ إِقْلِيمِ دِيْفُوقِ ، يَرْتَدُونَ مَلَابِسَ حُمْرَاءَ .

الثَّلَاثَةُ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا مِنْ جَيْشِ الْمَلِكِ .

وَكَانَتْ لَدَيْنَا ثَلَاثَةُ مَدَافِعَ تُجَرِّمُهَا الْحَيَادُ : مِدْفَعٌ لِكُلِّ مَجْمُوعَةٍ . وَنَدَانَا الْمَسِيرَةَ مَعًا نَحْوَ الْوَادِي .

كَانَتْ الْخُطَّةُ تَقْضِي بِأَنْ يُرَابِضَ رِجَالُ سُومَرِسْتِ فِي الثَّلَالِ الْوَاقِعَةِ شَرْقِيَّ الْوَادِي ، حَتَّى يَصِلَ رِجَالُ دِيْفُوقِ إِلَى الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي تَجِدُ الْوَادِي مِنَ الْغَرْبِ ، وَأَنْ تُطْلِقَ الْقُوَّتَانِ مَعًا يَبْرَأْنَهَا عَلَى آلِ دُونِ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنْ الْغَرْبِ فِي آنٍ وَاحِدٍ ، عَلَى جَبِينٍ يَتَقَدَّمُ فُرْسَانُ الْخَيْشِ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ حَبْرِي مِيكَلَزْ وَأَنَا - لِإِفْتِحَامِ الْوَادِي عَبْرَ الْبَوَايَةِ . تِلْكَ كَانَتْ خُطَّتَنَا الْمَرْسُومَةُ ، إِلَّا أَنَّ الْأُمُورَ لَمْ تَسِرْ كَمَا خُطَّطْنَا لَهَا .

لَقَدْ بَلَّغْنَا بَوَايَةَ آلِ دُونِ وَكَانَ مِدْفَعُنَا مُعَدًّا . وَمَا إِنْ سَمِعْنَا دَوِيَّ الرِّصَاصِ يَنْطَبِقُ مِنْ مَاجِئَتِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، حَتَّى انْدَفَعْنَا إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الثَّلَالِ لِإِفْتِحَامِ الْبَوَايَةِ بِمِدْفَعِنَا . وَاقْتَرَنَّا مِنَ الْبَوَايَةِ ، فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا هُنَاكَ غَيْرَ أَنَّ الْعَدُوَّ لَهُ يَلْتَأَنَّ أَنْ فَاجَأَهُ بِإِطْلَاقِ النَّارِ مِنْ مَكَانٍ مَجْهُولٍ ، مُسْتَعْدِمًا فِي ذَلِكَ



أَتَيْتِي عَشْرَةَ بَدْقِيَّةً ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ . وَسَقَطَ مِنْ بَيْنِنَا بَعْضُ  
الرَّجَالِ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَتَلَّ مِنْ شَجَاعَةِ الْآخَرِينَ . وَكُنَّا - أَنَا وَجِيرَمِي -  
فِي الْمَقْدَمَةِ ، وَمِنْ وَرَائِنَا الْمِدْفَعُ تُحَرُّهُ الْحَيَاةُ .

وَمَرَّ عَانَ مَا اكْتَشَفْنَا أَنَّ آلَ دُونِ يَتَوَارُونَ وَرَاءَ بَعْضِ الشَّخِيرَاتِ الْكَثِيفَةِ ،  
فَعَدُّوْنَا لِمُلَاقَاتِهِمْ قُلَّ أَنْ يَتِمَّ كُنُوزًا مِنْ حَشْوٍ بِأَدْقِهِمْ بِالرَّصَاصِ . وَفَجْأَةً دَوَّى  
صَوْتُ ارْتِطَامِ هَائِلٍ مِنْ وَرَائِي ، أَغْقَبَهُ جَنَبَةٌ عَالِيَةٌ وَصَرَ حَاتٍ مُرْعِيَةً مِنَ الرِّجَالِ  
وَالْحَيَاةِ - فَلَقَدْ اسْتَقَطَّتْ شَجَرَةٌ ضَخْمَةٌ مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ التَّلِّ عَلَى الْحَيَاةِ  
وَالْمِدْفَعِ ، فَأَصَابَتْ اثْنَيْنِ مِنْ رَجَالِنَا ، وَقَصَصَتْ ظَهَرَ أَحَدِ الْحَيَاةِ ، وَكَسَرَتْ  
سَاقَ جَوَادٍ آخَرَ .

ثُمَّ لَكَّنِي غَضَبٌ شَدِيدٌ ، فَقَدْ كُنْتُ أَحْتُ هَذَيْنِ الْحَوَادِثِ حُتًا جَمًّا ،  
وَجَرَيْتُ عَائِدًا إِلَى مَكَانِ الْحَادِثِ . وَتَغَيَّرَتْ سِتَّةُ رَجَالٍ ، مِنْ بَيْنِهِمْ جِيرَمِي .  
وَأَطْلَقَ آلَ دُونِ الرِّصَاصَ عَلَيْنَا ، فَأَصَابُوا بَعْضًا مِنْ رَجَالِنَا ، غَيْرَ أَنِّي وَاصِلْتُ  
الْكَبِيرَ . وَحَمَلْتُ الْمِدْفَعُ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَافْتَحَمْتُ بِهِ فِي حُجُوبِ بَابِ الْوَاوَةِ  
الْخَشَبِيِّ الضَّخْمِ فَتَحَطَّمُ . وَانْحَشَرَ الْمِدْفَعُ فِي فَتْحَةِ الْبَابِ الْمُحْطَمِ حَتَّى إِسَى  
لَمْ أَسْتَطِعْ تَحْدِيسَهُ بِجَذْبِهِ إِلَى الْخَارِجِ ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا بِالقُرْبِ مِنِّي يُسْرِعُ إِلَى  
مَعُونَتِي . وَتَرَاخَفْتُ بِضَعِّ حُطُوبَاتِ إِلَى الْخَلْفِ نَحْنًا عَنْ جِيرَمِي ، فَوَحَدْتُهُ  
مُمَدِّدًا عَلَى الْأَرْضِ ، مُنْطَخِعَ الْوَجْهِ بِالدَّمَاءِ . وَحَمَلْتُهُ فِي أَلْتُو إِلَى مَكَانٍ مَأْمُونٍ  
حَيْثُ ثُمَّ اسْتَعَاْفُهُ .

فَوَجِئْتُ بَعْدَ لِحَظَاتٍ بِغُلَامٍ مِنْ أَتْبَاعِنَا يُسْرِعُ إِلَيَّ قَائِلًا : « لَقَدْ حَسَرْنَا  
الْمَعْرَكَةَ . إِنَّ رِجَالَ دِيقُونَ وَرِجَالَ سُومِرْسِتِ يَتَقَاتِلُونَ .... لَقَدْ هَرَمْنَا آلَ  
دُونِ . »

مُسْعَدُ عَرَبَةٍ مِنْ عُصُونِ الْأَشْجَارِ لِتَحْمِلِ حُرْحَانًا ، وَاسْتَحْدَمْنَا الْحَيَاةَ الَّتِي  
مَتَّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي خُرْهَا .

« آلَانِ سَأُخَرِّكُمْ كَيْفَ مَثَبُ الْقِتَالِ بَيْنَ فَرِيقِي دِيقُونَ وَسُومِرْسِتِ :

كَانَ عَلَى رِحَالِ دِيقُونَ أَنْ يَسِيرُوا مَسَافَةً طَوِيلَةً لِكَيْ يَصِلُوا إِلَى مَوْقِعِهِمْ عَلَى  
الْحُدُودِ الْعَرَبِيَّةِ لَوَادِي آلِ دُونِ . وَكَانُوا يَحْشُونَ أَنْ يَبْدَأَ رِحَالُ سُومِرْسِتِ  
مَعْرَكَةً قَتْلَ وَصُوبَهُمْ ، فَيَفْخَرُوا ، فِيمَا بَعْدَ ، بِأَنَّهُمْ قَدْ أُخْرِجُوا النَّصْرَ  
خُفْرَدَهُمْ . فَمَا إِنْ أَتَوْا إِلَى مَوْقِعِهِمْ فَوْقَ التَّلَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، حَتَّى جَهَّزُوا  
مَذْفَعَهُمْ ، ثُمَّ أَطْلَقُوا دُونَ تَصُوبٍ مُخَدَّدٍ . وَغَبِرَتْ الْقَذِيفَةُ الْوَادِي وَأَصَابَتْ  
حَالَ سُومِرْسِتِ عَلَى الْخَابِ الْآخِرِ فَقَتَلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَجَرَحَ اثْنَيْنِ .

نَزَتْ نَائِرَةُ رِحَالِ سُومِرْسِتِ وَظَنُّوا بِرِجَالِ دِيقُونَ الطُّونَ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ  
بِاطْلَاقٍ دَرَّ مَذْفَعَهُمْ ، وَاسْتَقَطُّوا مِنْهُمْ خَمْسَةَ رِحَالٍ وَنَشَتْ بَعْدَ ذَلِكَ  
مَعْرَكَةٌ بَيْنَ رِجَالِ فَرِيقِي دِيقُونَ وَسُومِرْسِتِ .

فِي تِلْكَ الْأَثَاءِ ، حَرَجَ آلُ دُونِ مِنَ الطَّرِيقِ السَّرِيِّ ، الَّذِي كَانَتْ  
نَسْتَحْدِمُهُ جُوبِنِي مِنْ قَبْلُ ، وَهَاجَمُوا رِجَالَ سُومِرْسِتِ ، أَيْضًا ، فَقَتَلُوا أَرْبَعَةً  
مِنْهُمْ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَذْفَعِهِمْ .

ثُمَّ رَحَالَ دِيقُونَ فَقَدْ عَادُوا إِلَى مُقَاتَلَتِهِمْ ، وَمَعَهُمْ مَذْفَعُهُمْ يَجْرُونَ أَذْيَالِ  
الْحَيَةِ .

وَهَكَذَا خَسِرْنَا تِلْكَ الْجَوْلَةَ ضَيْدُ آلِ دُونِ .

## الفصل التاسع والعشرون

### رحيل لورنا

كُنْتُ مُسَافِرًا لِرَبَارَةٍ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَفُوجِئْتُ عِنْدَ عَوْدَتِي أَنَّ لُورْنَا لَمْ تُسْرِعْ لِيَقَائِي كَعَادَتِهَا ، عِنْدَ بَابِ الْحَدِيقَةِ .

سَأَلْتُ أُمِّي : « أَيْنَ لُورْنَا ؟ » فَلَمْ تُجِبْ .

الْتَفَتُّ إِلَى أُخْتِي لِيَزِي مُكَرَّرًا نَفْسَ السُّؤَالِ .

رَدَّتْ لِيَزِي قَائِلَةً : « لَقَدْ ذَهَبَتْ أَلَيْدِي لُورْنَا دِيوجَال إِلَى لَنْدَن ، وَأُظُنُّ أَنَّهَا لَنْ تَعُودَ ثَانِيَةً . »

صَبَحْتُ : « لَقَدْ رَحَلَتْ لُورْنَا .. رَحَلَتْ حَبِيبَتِي لُورْنَا دُونَ أَنْ تُودَّعَنِي ! »

أَصَافَتْ لِيَزِي قَائِلَةً : « لَقَدْ نَكَّتْ طَوِيلًا قُلَّ رَحِيلَهَا وَتَرَكَّتْ لَكَ حِطَابًا فِي عُرْفَتِهَا . »

خَرَيْتُ إِلَى حُحْرَةِ لُورْنَا ، وَفَتَحْتُ الْخِطَابَ ، وَقَرَأْتُ السُّطُورَ الثَّلَاثَةَ :  
« يَا أُخْتُ النَّاسِ إِلَيَّ ، أُرْجُو أَنْ تُقَدِّرَ سَبَبَ رَحِيلِي دُونَ أَنْ أُوَدَّعَكَ ، فَقَدْ رَفَضَ رِحَالُ الْمَلِكِ الْإِنْتِظَارَ . إِنْ عَمِي - وَهُوَ أَخَذَ كِبَارَ اللَّوَرْدَاتِ - يَسْطِرُّنِي فِي بِنْدَةٍ دَسْتَرٍ لِأَنَّ الْمَلِكَ أَمَرَ بِأَنْ أَكُونَ تَحْتَ وَصَايَةِ هَذَا الْكَلَمِ إِلَى أَنْ أُبْلَغَ سَبَّحَ الْخَادِيَةِ وَالْعِشْرِينَ .. »

« هَذَا حُكْمٌ قَاسٍ وَغَيْرُ عَادِلٍ . وَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي لَا أُرِيدُ أَرَايِي وَلَا نَعْمَ دِي ، وَإِنِّي أَرْغَبُ فِي الْبَقَاءِ هُنَا فَحَسْتُ ، وَلَكِنَّهُمْ أَخْبَرُونِي أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَمْلِعَ أَمْرَ الْمَلِكِ . لَنْ يَبْعِدَنِي عَنْكَ شَيْءٌ ، أَوْ يَأْخُذَنِي مِنْكَ أَحَدٌ . »

الْمُخْلِصَةُ إِلَى الْأَبَدِ

لُورْنَا دِيوجَال

وَمَرَعِمَ مَا كَانَ يَتَدَوَّرُ مِنْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ انْتَهَى ، فَإِنَّ قَلْبِي كَانَ يُحَدِّثُنِي بِأَنَّ  
الْهَيَاةَ سَتَكُونُ سَعِيدَةً .



## الفصل الثلاثون

### لا رسائل من لوزنا

في شهر فبراير من ذلك العام - ١٦٨٥ - تلقينا نبأ وفاة الملك . وحشيت أن تدلج الاضطرابات في بعض أنحاء المملكة ، إذ كنت أعلم أن طائفة كبيرة من الناس لا تحب الملك الجديد جيمس ، وأن بعض الناس يتهاون للقتال ضده بالفعل . كما يلعي أن ذوق مونتوث سوف يأتي عبر البحر قديماً من فرنسا إلى حوب إنجلترا ، وأن كل فلاح الحوب سوف يتضمون إليه ضد الملك . وكان القلق يسود المملكة بأسرها ، كما كان هناك حديث بين الناس بأن القاضي حيفريز سوف يأتي إلى الحوب ليشق كل الدين يخططون للحزب ضد الملك الجديد .

مرت عدة شهور دون أن أتلقي رسالة واحدة من لوزنا حتى إني صنت أنها سيأتي ثامناً . ولم أكن أعرف عنوانها في لندن حتى أكتب لها ، عبر أنني كنت أتقصي أخبارها من الحنود والتجار الذين يأتون بين الحين والآخر من هناك . ولقد ذكر لي هؤلاء أنها اشتهرت في العاصمة بحمالها ، وأن عدداً كبيراً من اللوردات الشبان يسعى للزواج بها طمعاً في أموالها .

وما إن نلغثي تلك الأنباء ، حتى اكتأبت نفسي ، واعتم قوادي ، وشعرت أنني فقدت كل آمالي .

## الفصل الحادي والثلاثون

### ثوم فاجس يخرج للقتال

مرت بضعة أيام ، عانيت جلالها من اليأس والحزن . وحاءني آبي دات صاحب باكية ، وسألها عن سبب بكائها فقالت : « آه ، يا حود . لقد زحل روعي ثوم فاجس ليحارب مع رجال الدوق ضد الملك ! بحث أن تخرج بخنا عنه ، وتعود به إلى الكيت . فأحبتها : « أعدك بأن أحاول ذلك بأقصى ما في وسعي . »

في اليوم التالي غادرت البلدة بخنا عن ثوم . وبعد مسيرة طويلة أثبت إلى بلدة بردخوثر فوجدت جيش الدوق معسكرًا هناك . ولم يكن جيشاً بالمعنى الحقيقي ، فقد كان يتألف من جماعات من الفلاحين الذين لم يدرؤا على القتال ، أو حتى على إطلاق النار .

كنت متعباً جداً ، فقصدت فندقاً صغيراً لإقضي فيه الليل . ولم تلبث صاحبة الفندق أن أيقظتني من النوم قائلة : « انهض ، لقد بدأت المعركة . » وما إن سمعت صوت إطلاق النار حتى انطلقت على جوادي عبر شوارع جانبية ضيقة إلى خارج البلدة ، ثم واصلت السير حتى أثبت منطقة المستنقعات . وكان الضباب كثيفاً تعذرت معه رؤية الطريق .

وصلت قرية صغيرة تسمى زيلاند ، وعرفت أن رجال الميذب كانوا يبيتون فيها ، وأنهم عاذروها عقب هجوم رجال الدوق عليهم أثناء الليل .

تَقِيْتُ هُنَاكَ شَابًا يَعْرِفُ طُرُقَ الْمِنْطَقَةِ جَيِّدًا ، فَقَادَنِي إِلَى مُوَحَّرَةِ خَيْشِ  
الدُّوقِ . وَكَانَتْ السَّاعَةُ الرَّابِعَةُ صَبَاحًا حِينَ وَصَلْنَا أَرْضَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ  
الْمَكْشُوفَةِ . وَمَا إِنِ ظَلَعَتِ الشَّمْسُ حَتَّى رَأَيْتُ عَلَى صَوْنِهَا مَشْهَدًا مُرَوِّعًا :  
رَأَيْتُ رِجَالًا فَارِينَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ، وَالذُّغَرُ بَادٍ فِي غُيُونِهِمْ وَأُخْسَادُهُمْ مُلَطَّحَةٌ  
بِالدَّمِ وَالْأَثَرِ - رِجَالًا يَغْدُونَ فِي حُوبٍ ، لَا يُرِيدُونَ إِلَّا النَّجَاةَ مِنَ الْمَوْتِ .  
كَمَا رَأَيْتُ قَتْلَى رَاقِدِينَ عَلَى الْأَرْضِ يُعَيَّرُونَ مَفْتُوحَةً يُطْلُ مِنْهَا الرَّغْبُ الَّذِي  
قَاسَمُوهُ فِي لَحْظَاتِهِمْ الْأَخِيرَةِ . وَكَانُوا جَمِيعًا مِنَ الْفَلَاحِينَ الْبَسِطَاءِ الَّذِينَ لَمْ  
يُمَارِسُوا الْحَرْبَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يُنْصِبُوا أَبَدًا بِنْدَقِيَّةً . إِنَّهُمْ آلَانَ مَوْتَى . لَقَدْ  
مَاتُوا بَعْدَ أَنْ عَانُوا آلامًا زَهِيَّةً .

كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَارُونَ يَصِيحُونَ وَأَنَا أُمَرُّ بِهِمْ : « لَقَدْ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ - فَقَدْ  
وَصَلَتْ مِدْفَعِيَّةُ الْمَلِكِ ، وَهِيَ تُحْصِدُ رِجَالَنَا آلَانَ حَصْدًا . »

حَاوَلْتُ أَنْ أَسَاعِدَ بَعْضَ الْجُرْحَى دَامِعِ الْعَيْنَيْنِ . وَبَاوَلْتُ أَخَذَهُمْ كُوبَ  
مَاءٍ وَهُوَ يَلْفِظُ أَنفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ . وَطَلَبْتُ مِنِّي أَنْ أُطْلِعَ زَوْجَتَهُ عَلَى نَقْوَدٍ كَانَ قَدْ  
أُخْفَاهَا فِي شَجَرَةٍ تُفَاجِ . وَشَعَرْتُ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ بِشَيْءٍ بَاعِمٍ يَلْمَسُ خَدِّي  
وَالْتَفَتْتُ فَرَأَيْتُ وِنِي ( فَرَسَ ثَوْم ) ، وَنَظَرْتُ الْفَرَسَ إِلَيَّ ، ثُمَّ أَدَارَتْ وَجْهَهَا .  
وَبَدَتْ وَكَأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لِي شَيْئًا . وَرَكَضَتْ بِضَعِّ خُطَوَاتٍ ، ثُمَّ  
اسْتَدَارَتْ وَنَظَرَتْ إِلَيَّ مَرَّةً أُخْرَى . عِنْدَيْدِ أَذْرَكْتُ مَا كَانَتْ تُعْنِيهِ ، فَاِمْتَنَطَيْتُ  
حِصَانِي وَسِيرْتُ وَرَاءَهَا .

وَصَلْنَا إِلَى حَظِّ الْمَعْرَكَةِ وَرَأَيْتُ رِجَالَ الدُّوقِ وَاقِفِينَ لَا خَوْفَ لَهُمْ بِجَوَارِ

صَفَةِ نَهْرٍ غَجَزُوا عَنْ غُيُورِهِ . وَكَانَ الْمَوْقِفُ يَدْعُو إِلَى الضَّجْحِ وَالرَّثَاءِ فِي أَنْ  
وَاحِدٍ : كَانَ رِجَالُ الدُّوقِ عَزَّلًا مِنَ السَّلَاحِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانُوا يَصِيحُونَ  
بِخُودِ الْمَلِكِ الْوَاقِعِينَ عَلَى الضَّغْفَةِ الْمُوَاكِفَةِ قَائِلِينَ : « هَيَّا اغْتَرُوا إِلَيْنَا  
، فَاتْلُونَا . » وَلَمْ يَلْسِ الْجُنُودُ أَنْ أَمْطَرُوهُمْ بِوَابِلٍ مِنَ الرُّصَاصِ ، فَقَتَلُوا  
كَثِيرِينَ مِنْهُمْ .

انْدَفَعَ فُرْسَانُ الْمَلِكِ نَاجِيَتَهُمْ ، وَخَاضُوا فِي صُفُوفِهِمْ ، وَدَاسُوا عَلَى مَنْ  
سَقَى مِنْهُمْ حَيًّا بِخَوَافِرِ حِيَادِهِمْ . وَكَانَتْ صَرَخَاتُ الْقَتْلِ وَأَنَاتُ الْحَرْحَى  
نَصْمُ الْأَذَانِ .

وَاسْتَأْنَفْتُ وِنِي الْسَّيْرَ ، وَسِيرْتُ وَرَاءَهَا .

وَقَفْتُ الْفَرَسَ أَخِيرًا أَمَامَ كُوخٍ صَغِيرٍ وَصَهَلْتُ فِي صَوْتِ خَمِيصٍ ،





وَكَاثُهَا تُنَادِي تُوْم . وَلَمَّا لَمْ تَسْمَعْ جَوَانًا اقْتَحَمَتِ الْكُوْخَ .

تُبْعَتْهَا إِلَى الدَّاحِلِ ، فَرَأَيْتُ تُوْمَ فَاحْسٍ رَاقِدًا مُصَانًا بِخُرْجٍ عَائِرٍ فِي حَنْبِهِ  
الْأَيْمَنِ . وَنَاوَلْتُهُ قَلِيلًا مِنْ الْمَاءِ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَرَبَّتْ عَلَى قَرَسِيهِ  
قَائِلًا : « هَلْ أَصَابَ وَفِي أَدَى ؟ »

أَجَبَتْهُ : « كَلَّا . »

قَالَ : « ضَعْنِي إِذَا عَلَيَّ ظَهْرُهَا . »

أَجْلَسَتْهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْفَرَسِ ، فَأُطْلِقَتْ بِهِ وَفِي سَعِيدَا ، وَكَانَ يَتَدَوَّى أَنَّهَا تُعْرِفُ  
طَرِيقَهَا جَيِّدًا . وَسَرَّعَانَ مَا اخْتَفَا عَنِ الْأَنْظَارِ .

اسْتَلْقَيْتُ عَلَى أَرِيكَةِ دَاخِلِ الْكُوْخِ وَرُخْتُ فِي النَّوْمِ .

## الفصل الثاني والثلاثون

أَسِيرُ

يَمُتْ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ . وَلَمَّا اسْتَبْقَظْتُ ، رَأَيْتُ الْكُوْخَ مَلِيئًا  
بِالْخُودِ سَارِعَتْ يَقُولِي : « هَذَا الْكُوْخُ لَيْسَ بِمِلْكَا لَكُمْ ، فَمَا الَّذِي حَاءَ  
بِكُمْ إِلَى هُنَا ؟ »

أَجَابَ أَحَدُ الْخُودِ : « أَتَيْنَا لِكَيْ نَذْهَبَ بِكَ إِلَى الْمِشْتَقَةِ . »

فَلَمْتُ فِي خُدُودِي : « إِذَا فَلْيَصْغِ كُلُّ مَنَا سِلَاحَهُ فِي أَخَارِجِ ، لِيَرَى هَلْ  
تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ بِأَيْدِيكُمْ فَقَطْ . »

فَهَمَّ الْخُودُ سَاجِرِينَ ، فَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ يُقَارِبُ الْعِشْرِينَ ، وَكُنْتُ  
أَوَاجِهِمْ بِمُفْرَدِي . وَسَرَّعَانَ مَا قَبِلُوا التَّحَدِّيَ ، فَالْقَبَا حَمِيْعًا بِسَادِقَا حَارِجِ  
الْكُوْجِ .

انْدَفَعَ رَجُلٌ الْأَوَّلُ نَحْوِي فِي تَهَوُّرٍ وَخَمَقٍ ، فَأَمْسَكَتُهُ مِنْ قَمَاهُ ، وَقَدَفْتُ  
عَلَى زُرُوسِي زُمَلَانِي . ثُمَّ حَاءَ كَثَافِي وَكَانَ رَجُلًا صَنِيلَ الْجِسْمِ عَيْرَ مُتَمَرِّسٍ  
بِأَسَالِيِبِ الْقِتَالِ ، فَطَرَحْتُ بِهِ خُلْفَ صَاحِبِهِ .

جَنَدِيذٌ تَحْشِي الْأَخْرُونَ تَأْسِي ، فَتَرَدَّدُوا فِي الْهُحُومِ ، وَوَقَفُوا يَتَشَاوَرُونَ  
مَعًا فِي هَمْسٍ . وَهِيَ مَرَقَتْ وَسَطَهُمْ كَالسَّهْمِ . وَأَنَا أَدْفَعُهُمْ دَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ  
السَّمَالِ ، وَفِي ثَوَانٍ مَعْدُودَاتٍ قَفَزْتُ فَوْقَ ظَهْرِ جِصَانِي ، وَعَدَوْتُ أَسَابِقِي بِهِ

أَلْحُودِ قَائِلًا : « اَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَأَنَا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا . إِنَّهُ أَسِيرِي  
أَنَا . » ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَائِلًا :

« هَيَّا اسْتَعْنِي بِأَجُونِ رِد ! » كَانَ الرَّجُلُ هُوَ جِيرِيمِي سِتِكِلَز .

وَبَيْنَمَا كَانَ حَوَادِثًا بِسِيرَانِ مُتَحَاوِرَيْنِ عَلَى الطَّرِيقِ ، اقْتَرَبَتْ مِنِّي جِيرِيمِي  
وَقَمَسَ قَائِلًا : « لَقَدْ أَفْقَدْتُ يَوْمًا - مِنْ آلِ دُون ، وَهَآنَذَا أَلَا نَأْرُدُ إِلَيْكَ  
الْحَمِيلَ . »



الرَّيْحَ . فَأُطْلِقُوا ، يَصْنَعُ رَصَاصَاتٍ تَحْوِي ، غَيْرَ أَنَّهَا طَاشَتْ حَمِيغًا ، إِذْ كُنْتُ  
قَدْ تَعَدْتُ عَنْهُمْ كَثِيرًا .

سِرْتُ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَلَكِنْ سَرَّعَانَ مَا وَقَعْتُ فِي قَبْضَةِ جَمَاعَةٍ أُخْرَى مِنْ  
حُودِ الْمَلِكِ قَطَعْتُ غَيَّ الطَّرِيقِ ، وَأَجْبَرْتَنِي عَلَى التَّزَوُّلِ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ  
جِصَانِي .

صَاحَ الْحُودُ وَهُمْ يُحِيطُونَ بِي : « هَا هُوَ ذَا أَسِيرٌ آخَرٌ ! أَسِيرٌ ضَخْمٌ ! »  
أَصْدَرَ قَائِدُهُمْ أَمْرَهُ بِأَنْ أُشْتَقَ عَلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ الْقَرِيبَةِ . وَلَفُّوا الْحَبَالَ  
حَوْلَ جَسَدِي ، وَدَفَعُوا بِي إِلَى الشَّجَرَةِ ، فَرَأَيْتُ جُثَّتِي رَاحِلِينَ شَيْقًا بِالْمَعْلِ .  
عِنْدَئِذٍ جَاءَ رَجُلٌ مُسْرِعًا عَلَى ظَهْرِ جِصَانِهِ . وَمَا إِنْ رَأَى حَتَّى صَاحَ فِي



## الفصل الثالث والثلاثون

### التقيت بلورنا

قال لي جيري مي ستيكلز ونحن نسير في الطريق : « حذار أن تهرب مني يا حوون وإلا استولوا على مزرعتك ، وألقوا القبض على أمك وشقيقتيك فهم يعرفون اسمك . »

أخبت : « لن أحاول الفرار ، فأنا الآن أسيرك ، وسوف أذهب معك إلى لندن . »

قال جيري مي : « سوف تُحاكم أمام أحد القضاة في لندن ، وسوف تُعامل بالحسنى . إنه من الحكمة أن تأتي معي . »

رَحَلْنَا مَعًا إِلَى لَنْدَن . وَكُنْتُ أَفَكِّرُ فِي لُورْنَا طَوَالَ الرِّحْلَةِ وَأَتَسَاءَلُ : « أَلَا نَزَالُ لُورْنَا تُجِيبُنِي ؟ »

عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى لَنْدَن ، عَلِمْتُ أَنَّ لُورْنَا تَعِيشُ مَعَ عَمِّهَا ، لُورْد براندير ، كَمَا سَمِعْتُ أَنَّ الْمَلِكَةَ تُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَأَنَّهَا يَذْهَبَانِ إِلَى الْإِحْتِفَالَاتِ الرَّسْمِيَّةِ مَعًا . وَهَكَذَا تَوَحَّهْتُ إِلَى قَاعَةِ الْإِحْتِمَالَاتِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَوَقَفْتُ فِي الْخَارِجِ بَيْنَ جُمُوعِ الْقَادِمِينَ أَمَلًا فِي رُؤْيَةِ لُورْنَا وَهِيَ تَدْخُلُ فِي صُحْبَةِ الْمَلِكَةِ .

وَصَلَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ إِلَى قَاعَةِ الْإِحْتِمَالَاتِ فِي مَوْكِبٍ نَدِيعٍ ، يَتَعُفُهُمَا عَدَدٌ

كثير من اللوردات والعظماء ، وتسير خلف هؤلاء مجموعة من وصيحات الملكة الجميلات ، تتوسطهن لورنا . وبينما أنا أنظر إليها ، انفتحت فوق نصرها علي ، وأطابت النظر إلي بعينيها الجميلتين الرقيقتين .

تبعتها إلى داخل القاعة . وبينما أنا جالس هناك ، جاءني رجل يحمل رسالة قصيرة منها ، تطلب فيها أن أحضر لبقائها بمنزلها في اليوم التالي . وذهبت في الموعد المحدد إلى منزل لورد براندير وفتحت حويي كازفاكس الباب ، وقادني إلى حجرة فسيحة فاجرة الأثاث . وبعد بترهة قصيرة دخلت لورنا .

كُنْتُ مُتَلَهِّمًا لِسَمَاعِ أَحْوَارِهَا . وَلَمَّا عَاشَتْهَا عَلَى غَدَمٍ إِزْسَالٍ حَطَانَاتٍ ، قَالَتْ : « لَقَدْ كُنْتُ لَكَ عِدَّةَ رَسَائِلٍ مُنْذُ أَنْ وَصَلْتُ إِلَى لَنْدَن ، وَلَكِنِّي اكْتَشَفْتُ أَخِيرًا أَنَّ حُويي قَدْ أَخَفَّتْهَا جَمِيعًا ، وَأَنَّهَا لَمْ تُبْعَثْ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَيْكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُرِيدُنِي أَنْ أَتَزَوَّجَ بِلُورْد . إِنِّي أَكْرَهُ الْحَيَاةَ فِي لَنْدَن . إِنَّ الرِّجَالَ هُمَا يَتَوَدَّدُونَ إِلَيَّ مِنْ أَجْلِ مَالِي فَحَسْبُ . أَنَا لَا أَفَكِّرُ إِلَّا فِيكَ ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَأْتِيَ كَثِيرًا لِرُؤْيَايَ . »

## الفصل الرابع والثلاثون

### لصوص الليل

في أمسية من أماسي شهر سينتمبر، كنتُ أمرُّ أمامَ منزل لورد براندير فرأيتُ ثلاثة رجالٍ يقفون في ظلال الشجر قريباً من المنزل. قلتُ في نفسي: «يبدو أن الرجال من اللصوص.. سوف أنتظر لإكتشف عما يدبرون..» واختبأت بين الظلال.

أطفئت الأنوار التي كانت تُشيع من نوافذ البيت. ولم ألبث أن سمعتُ نداءً خفيضاً يأتي من وراء إحدى الأشجار القريبة. ومرَّ الرجال الثلاثة بعد ذلك مباشرة من أمامي، ثم فتحت إحدى النوافذ، ومرق الثلاثة من خلالها إلى داخل البيت. وأسرعْتُ ودخلتُ وراءهم من نفس الباعدة. رأيتُ حادمة تسير حاملة مصباحاً، ومن ورائها الرجال الثلاثة. وما إن أتوا إلى غرفة لورد براندير حتى اقتحموا الباب ودخلوها.

تسللتُ على أثرهم إلى داخل الحجرة، فرأيتُ أحد الرجال يصوب بندقية إلى لورد براندير، وأخذ زميلاً يحاول أن يفتح صندوقاً ضخماً. وقال الرجل الذي يصوب سلاحه إلى لورد براندير: «أخبرني أين المفتاح وإلا قتلتك..» ساعداً من واحد إلى عشرة، ثم أطلق الرصاص بعد ذلك.

وأجاب لورد براندير: «لن أخبرك بمكانه..»

وبدأ اللص في العد: «واحد - اثنان - ثلاثة...»

فاندفعتُ إلى وسط الحجرة، وأطختُ ببندقية بضربة واحدة من مسامي، ثم هويتُ بالعصا على رأسه، فسقط فاقداً الوعي.

أسرع اللصان الآخران بمهاجمتي، ويبدو واحد منهما ببندقية. فرفعتُ ماسهما بسرعة خاطفة عن الأرض، وأخذته سائراً أحتمي خلفه. وأطلق اللص الذي يحمل البندقية النار فأصاب الرصاصة زميله الذي كنتُ أحتمي به، فصرعته في الحال. وأمسكتُ باللصين، وقيدتُ أيديهما وأرسلتهما بالحبال.

حي، باللصين في الصباح التالي أمام القاصي، وكانا رجلين مشهورين مناهما الشديد للملك. وسرَّ القاصي لإمساكي بهما سروراً بابعاً، وكتب قصداً للملك بما حدث - كما روى لورد براندير أيضاً للملك كيف أمسكتُ بهذين المجرمين.

في عصر ذلك اليوم، أتى رجل ليصطحبني إلى القصر الملكي، لإمثل أمام الملك هناك. فارتديتُ أفعر ثيابي، وخرجتُ معه إلى قصر صاحب الخلافة.

عندما دخلتُ قاعة العرش، رأيتُ الملكة أيضاً، تجلس إلى جوار الملك.

قالت الملكة وهي تتطلع إلي: «إدا فأنت جون رد، الذي طالما حدثنا منه عريزنا لورنا..»



أَصَافَ الْمَلِكُ : « لَقَدْ أَسَدَيْتَ بِي خِدْمَةً جَلِيلَةً . هَيَّا اِرْكَعُ ، يَا حُور  
رَدَا »

جَثُوثٌ رَاكِبًا عَلَى رُكْبَتَيْ . وَلَمَسَ الْمَلِكُ كَتِفَيْ ، ثُمَّ قَالَ :

« انْهَضْ ، يَا سَيِّرُ جُونِ رَدَا . »

وَهَكَذَا مَسَحَى الْمَلِكُ لِقَبِ سَيِّرٍ وَأُصْنَحْتُ بِهِذَا آلَ لَقَبٍ مِنْ كِبَارِ رِحَالِ  
الدَّوْلَةِ .



## الفصل الخامس والثلاثون

### معركة الوادي الثانية

عُدْتُ إِلَى مَزْرَعَتِي حُرًّا ، بَعْدَ أَنْ كَرَّمَنِي الْمَلِكُ . وَكُنْتُ حَزِينًا لِفِرَاقِ لُورِيَا ، غَيْرَ أَنَّنِي كُنْتُ مُرَحِّبًا بِالْعُودَةِ ، لِأَنَّنِي أَنْفَقْتُ فِي لَنْدَنُ مَبَالِغَ كَبِيرَةٍ مِنَ الْمَالِ .

عِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى الْمَزْرَعَةِ ، أَقَامَ النَّاسُ وَلِيمَةً هَائِلَةً تَكْرِيمًا لِي وَسَارَ الْعَمَلُ فِي الْمَزْرَعَةِ كَسَابِقِ عَهْدِهِ . غَيْرَ أَنَّ آلَ دُونْ لَمْ يَكْفُوا عَنِ الْقَتْلِ وَالسَّلْبِ فِي الْمُنْطَقَةِ . فَقَدْ هَاجَمُوا نِسْتِ رَحِيلَ يُدْعَى كَيْتَ بِأَذْكُوكَ وَقَتَلُوا رُوحَنَةَ وَحَطَمُوا طِفْلَهُ . ثُمَّ وَلَّوْا هَارِبِينَ بَعْدَ أَنْ أَخْرَفُوا الْمَرْبُوحَ . وَلَقَدْ أَثَارَتْ هَذِهِ الْحَرَائِمُ عَصَبَ جَمِيعِ أَهَالِي الْمُنْطَقَةِ ، فَتَجَمَّعُوا وَقَرَّرُوا أَنْ يَنْشُؤَ الْحَرْبَ صَدَ آلَ دُونْ ، لِيَضَعُوا نِهَايَةَ لِكُلِّ أَلَامِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ .

تَمَثَّلَتِ الْخُطَّةُ فِي أَنَّ شَعْبَ بَاحِدَ رَحَالًا إِلَى آلَ دُونْ لِيُخْرِجَهُ أَنْ حَمَلَتْهُ مُسَافِرَةٌ تَحْمِلُ كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ . سَوَّفَ تَمُرُّ عَلَى أَصْرِيْقٍ فِي لَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ . وَعِنْدَمَا يُعَادِرُ آلَ دُونْ وَادِيَهُمْ فِي بِلْكَ اللَّيْلَةِ لِقَطْعِ الْأَصْرِيْقِ عَلَى الْمُسَافِرِينَ وَسَلْبِ الذَّهَبِ الْمَرْغُومِ ، تُهَاجِمُ مَخْمُوعَةٌ مِنْ رَحَالِنَا سَوَاقَ الْوَادِي ، عَلَى حِينِ تَكْمُنُ مَخْمُوعَةٌ أُخْرَى بِالقُرْبِ مِنْ صَخْرَةِ السَّلَالِ ( وَهِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي كُنْتُ أُسَلِّقُهَا فِيهَا مَصِيَّ عِنْدَ دِهَالِي لِمُقَابَلَةِ لُورِيَا فِي الْوَادِي ) . وَعِنْدَمَا يَبْدَأُ الْقِتَالُ بَيْنَ آلِ دُونْ وَرِجَالِنَا عِنْدَ الْبَوَانَةِ ، يُضْئِقُ رَمِيْلُ سَا رَاصُ

فَمِنْهُ السَّلَالُ ، هُوَ حُوتٌ فَرَايَ ، يَدْفَعُهُ ، فَتَسْرِعُ الْمَخْمُوعَةُ الْثَّانِيَةُ إِلَى صُعُودِ السَّلَالِ .

كَانَ الْقَمَرُ يَرْسِلُ ضَوْؤَهُ فَوْقَ السَّلَالِ حِينَ خَرَجْتُ عَلَى رَأْسِ الْقُوَّةِ الثَّانِيَةِ





الْمُتَوَحِّهَ إِلَى الشَّلَالِ . وَطَالَ انْتِظَارُنَا هُناكَ ، حَتَّى رَأَوْذَنِي الشُّكَّ فِي أَنَّ حُورَ  
مَرَايَ قَدْ عَسَهُ التُّعَاسُ . وَأَحِيرًا سَمِعْنَا صَوْتَ الْمِدْفَعِ .

صَبَحْتُ فِي رِفَاقِي قَائِلًا : « هَيَّا يَا رِجَالُ ارْفَعُوا بِسَادِقِكُمْ إِلَى أَعْلَى وَخَدَارَ مِنْ  
أَنْ يُطَبِّقَ أَحَدُكُمْ النَّارَ عَلَى زَمِيلِهِ وَأَنْتُمْ تَتَسَلَّقُونَ . »

وَصَعِدْنَا إِلَى قِمَّةِ الشَّلَالِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، ثُمَّ هَنَطْنَا عَلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ،  
وَتَوَعَّسْنَا دَاخِلَ الْوَادِي . وَاقْتَحَمْنَا مَنَزِلَ كَارْقَرٍ ، وَأَشْعَلْنَا فِيهِ النَّارَ . وَرَأَيْتُ  
هُنَاكَ وَلَدًا صَغِيرًا ، هُوَ ابْنُ كَارْقَرٍ ، فَأَتَقَدَّثُهُ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى بَاقِي الْمَسَارِلِ ،  
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ ، وَأَشْعَلْنَا فِيهَا النَّارَ .

صَاخَتِ النِّسَاءُ : « إِنَّ بَلَدَ آلِ دُونٍ تَحْتَرِقُ ! »

وَانْتَشَرَ الضَّوُّ الْأَحْمَرُ فِي أَرْجَاءِ الْوَادِي ، وَانْعَكَسَ فَوْقَ سَطْحِ النَّهْرِ  
وَفَوْقَ وُجُوهِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ .

وَكَمَا تَوَقَّعْنَا ، عَادَ آلُ دُونٍ مِنَ النَّوَابِيَةِ تَارِكِينَ عَدَدًا قَلِيلًا هُنَاكَ . وَكَانَ  
الْعَائِدُونَ بِقِيَادَةِ تَشَارَلِي دُونٍ . وَرَأَيْنَاهُمْ بِوُضُوحٍ عَلَى ضَوْءِ النَّارِ ، فَأُطْلِقَ  
رِجَالِي الرِّصَاصَ عَلَيْهِمْ . وَشَاهَدْتُ كَيْتَ بَاذُكُوكَ يَقْتُلُ تَشَارَلِي ، فَقَدْ كَانَ  
تَشَارَلِي هُوَ الرَّحْلَ الَّذِي خَطَفَ طِفْلَهُ .

بَحَثْتُ عَنْ كَارْقَرٍ فَحَسَبْتُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ .

لَنْ أَتَحَدَّثَ كَثِيرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْرَكَةِ ، وَعَمَّا نَحَلَّيْنَاهَا مِنْ قَتْلِ مُرُوءَةٍ .  
وَلَكِنْ يَكْفِي أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ عِنْدَمَا نَزَعَ الْفَجْرُ ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ مَنْ

آلُ دُونٍ سِوَى اثْنَيْنِ هُمَا الْمُسْتَشَارُ وَكَارْقَرُ ، وَأَنَّ يُبَوِّثَ الْوَادِي أَصْبَحَتْ  
أَطْلَالًا سَوْدَاءَ يَتَصَاعَدُ مِنْهَا الدُّخَانُ الْكَثِيفُ .

بَقِيَ أَنْ أَقْصُ عَنْكُمْ مَا حَدَّثَ لِبَاقِي آلِ دُونٍ الَّذِينَ كَانُوا حَارِحَ الْوَادِي أَثَاءَ  
الْمَعْرَكَةِ :

خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بِقِيَادَةِ كَارْقَرٍ لِسَرِقَةِ الذَّهَبِ الْمَرْغُومِ . وَكَانَ  
سِيمُونُ هُوَ رَجُلُنَا الَّذِي بَعَثْنَا بِهِ إِلَى آلِ دُونٍ لِيُخْرِجَهُمْ بِقِصَّةِ الذَّهَبِ . وَحَرِحَ  
مَعَ كَارْقَرٍ وَجَمَاعَتِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَدَهَبَ بِهِمْ إِلَى مَنَزِلٍ مَهْجُورٍ ، كَانَ يَأْوِي  
إِلَيْهِ الْمُطَارِدُونَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَالْحَارِحِينَ عَلَى الْقَابُورِ ، حَيْثُ جَلَسُوا يَتَرَقَّبُونَ  
مُرُورَ الْمَسَافِرِينَ الْمَرْغُومِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الذَّهَبَ . وَطَالَ بِهِمْ الْإِنْتِظَارُ دُونَ  
حَذْوَى . وَفِي أَثَاءِ ذَلِكَ ، تِمَكَّنَ سِيمُونُ مِنْ أَنْ يُعَافِلَهُمْ وَيَصُبَّ مَاءً دَاخِلَ  
سَادِقِهِمْ فَأَفْسَدَهَا .

فَحَاةٌ دَاهَمَتْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ رِجَالِنَا دَاخِلَ الْمَنَزِلِ ، وَصَوَّتِ الْبَسَادِقُ إِلَى كُلِّ  
فَرْدٍ مِنْهُمْ . وَحَاوَلَ آلُ دُونٍ إِطْلَاقَ النَّارِ ، وَلَكِنْ بَسَادِقُهُمْ لَمْ تَنْطَلِقْ . وَحَارَبُوا  
بِشِرَاسَةٍ ، عَمَرَ أَنْ رِجَالَنَا تِمَكَّنُوا مِنَ الْقِصَاصِ عَلَيْهِمْ خَمِيعًا ، فِيمَا عَدَا كَارْقَرُ  
الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْفِرَ فَوْقَ ظَهْرِ حِصَانِهِ الصَّخِيمِ وَيُقْلِتَ بِهِ مِنْ مَوْتٍ مُخَفِّقٍ .



## الفصل السادس والثلاثون

### مصرغ كارفر دون

عادت لورنا من لندن ، وكان كل شيء معدًا لزوجنا . وأنت إلى الحفل  
حشود كبيرة من الناس .

تقدمت نحو جموع الناس متباطئًا ذراع لورنا . وكأنت ترتدي ثوب  
الزفاف الأبيض البديع .

وضعت خاتم الزواج في إصبعها ، رفعت عينيها إلى عيني . وللتو دوت  
طلقة ناريتة ، وسقطت لورنا على ركبتي . ولطخت دماؤها ثوبها الأبيض ،  
وسالت فوق الأرض . وأرقدتها بين ذراعي والدتي ، ثم أندفعت إلى الخارج  
لأنسبك بالمجرم الذي ارتكب هذه الفعل . كنت أعرف أن المجرم هو  
كارفر دون !

لَمْ أَكُنْ أُحْمِلُ بِنْدِقِي ، وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَهُ بِيَدَيَّ . فَقَفَزْتُ إِلَى ظَهْرِ  
جَوَادِي وَصَعِدْتُ بِهِ أَلْتَلُّ . وَرَأَيْتُ أُمَامِي ، عَلَى بُعْدِ رُبْعِ مِيلٍ تَقْرِيًا ، رَجُلًا  
يَرْكَبُ حِصَانًا ضَحْمًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّهُ كَارْفَر .  
قُلْتُ لِنَفْسِي : « إِمَّا أَنْ أَقْتُلَ كَارْفَرَ أَوْ يَقْتُلَنِي . »

كَانَ يَحْمِلُ بِنْدِقِيَّتَهُ ، كَمَا كَانَ يَحْمِلُ ابْنَهُ الصَّغِيرَ إِسِي أُمَامَهُ عَلَى الْجَوَادِ .  
وَتَعَقَّبْتُهُ ، وَهُوَ يَصْعَدُ أَلْتَلُّ ، إِلَى أَنْ أَتَى قُرْبَ الْمُسْتَنْقَعِ الْكَبِيرِ . وَهُنَا تَوَقَّفَ  
كَارْفَرُ بَرَهَةً ، ثُمَّ اسْتَدَارَ فَرَأَى أُعْدُوَّ خَلْفَهُ . وَاسْتَحَثَّ جَوَادَهُ عَلَى الْجَرِيِّ  
بِسُرْعَةٍ أَكْثَرَ ، وَلَكِنَّ التَّعَبَ كَانَ قَدْ نَالَ مِنَ الْجَوَادِ . وَكُنْتُ قَدْ انْتَرَعْتُ قَرَعًا  
مِنْ إِخْدَى الْأَشْجَارِ أَثْنَاءَ مُرُورِي بِهَا ، وَحَمَلْتُهُ مَعِي .



إِسْتَدَارَ كَارْقَرُ بِجَوَادِهِ وَأَطْلَقَ النَّارَ ، فَأَصَابَتْهُ الرِّصَاصَةُ ، غَيْرَ أَنَّنِي لَمْ أَهْتُمْ ؛ فَلَمْ أَكُنْ أَفَكِّرُ إِلَّا فِي عُدُوِي . وَأَسْرَعْتُ وَرَاءَهُ ، وَهَوَيْتُ عَلَى جَوَادِهِ بِضَرْبَةٍ عَنيفَةٍ مِنَ الْفَرْعِ الضَّخِيمِ الَّذِي كُنْتُ أُحْمِلُهُ . فَسَقَطَ الْجَوَادُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَمَعَهُ كَارْقَرُ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ كَارْقَرُ أَنْ يَنْهَضَ فِي الْحَالِ ، فَقَفَزْتُ مِنْ فَوْقِ جَوَادِي ، وَوَقَفْتُ أَنْتَظِرُ . وَجَرَى ابْنُ الصَّغِيرِ نَحْوِي وَنَظَرَ إِلَيَّ وَالْخَوْفُ يَمْلَأُ عَيْنَيْهِ . وَرَبَّتُ عَلَى كَتِفِهِ بِرِقَّةٍ قَائِلًا : « يَا عَزِيزِي إِنْسِي ، اجْر بِسُرْعَةٍ فَوْقَ الْكَلِّ ، وَاتَّقِ لِي بَعْضَ الْأَزْهَارِ . »

الطَّلَقَ الصَّبِيُّ بَعِيدًا عَلَى الْفَوْرِ .  
نَهَضَ كَارْقَرُ وَاقِفًا حَوْلَهُ بِاحْتِنَاءٍ عَنْ بِنْدِقِيَّتِهِ ، غَيْرَ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ طَوَّخْتُ بِهَا بَعِيدًا . وَهَكَذَا اضْطُرُّ لَأَنْ يُوَاجِهَنِي بِيَدَيْهِ فَقَطْ .

كَانَتْ تَفْصِيلُ بَيْنَنَا بُقْعَةً تُكْسِرُهَا الْحَشَائِشُ . وَأُعْطِيَتْهُ الْفُرْصَةُ لِأَنْ يَبْدَأَ بِالْهُجُومِ . وَفَجْأَةً أَحَاطَنِي بِذِرَاعَيْهِ الْقَوِيَّتَيْنِ ، وَضَعَطَ بِشِدَّةٍ هَائِلَةٍ عَلَى جَسَدِي ، فَكَسَرَ لِي ضِلْعًا . وَلَكِنِّي أَطَبَّقْتُ عَلَى عُنُقِهِ بِكِلْتَا يَدَيَّ . وَحَاوَلْتُ جَاهِدًا أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنِّي فَلَمْ يُفْلِحْ . وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ عَجَزَ تَمَامًا عَنِ الْحَرَكَةِ ، فَطَوَّخْتُ بِهِ بَعِيدًا عَنِّي .

وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي أَزْدِرَاءٍ قَائِلًا : « يَكْفِيكَ هَذَا الْعِقَابُ يَا كَارْقَرُ ! إِنَّكَ مَهْزُومٌ ، وَسَأَصْنَعُ عَنْكَ . »

لَكِنَّ قَدَمَيْهِ كَانَا قَدْ انْزَلَقَا فِي الْمُسْتَنْقَعِ ، وَأَخَذَ يَخُوصُ بِطَيْءٍ ، فَارْتَمَى عَلَى ظَهْرِهِ بِاسِطًا ذِرَاعِيهِ نَاحِيَةَ السَّمَاءِ ، وَلَكِنِّي عَجَزْتُ عَنْ مُسَاعَدَتِهِ أَوْ إِنْقَاذِهِ - فَقَدْ أَبْتَلَعَهُ الْمُسْتَنْقَعُ .

## الفصل السابع والثلاثون

### خاتمة القصة

امْتَطَيْتُ جَوَادِي ، وَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ أُحْمِلُ مَعِيَ وَلَدَ كَارْقَرِ الصَّغِيرِ . كُنْتُ أَسِيرُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ ، وَكَأَنِّي فِي حُلُمٍ مُزْجِجٍ ، فَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُ تَفْكِيرِي سِوَى مَوْتِ لُورْنَا . وَمَا إِنِّ وَصَلْتُ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ حَتَّى سَقَطْتُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ الْجَوَادِ . وَسَارَعَتْ أُمِّي تُعَاوِئُنِي عَلَى الدُّخُولِ .

صَبَحْتُ : « لَقَدْ قَتَلْتُهُ .. قَتَلْتُهُ كَمَا قَتَلَ لُورْنَا . وَالْآنَ ، دَعُونِي أَرَاهَا . إِنَّهَا لِي أَنَا .. لِي أَنَا حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ ! »

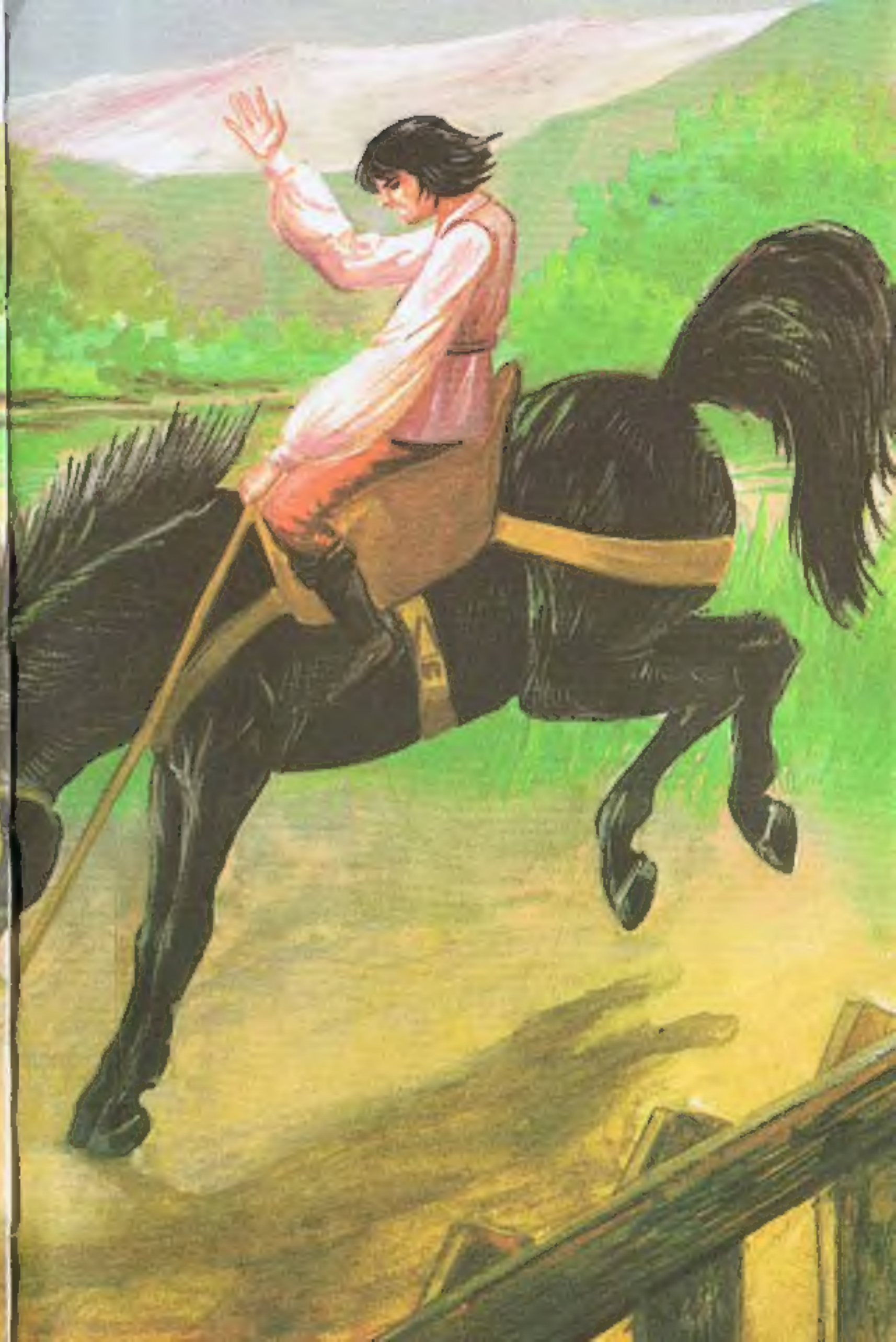
قَالَتْ أُمِّي : « لَكِنَّهَا لَمْ تَمُتْ ، كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا تَرَاهَا وَأَنْتَ بِهَذَا الشَّكْلِ ، وَجَسَدُكَ كُلُّهُ مُلَطَّخٌ بِالدِّمِ . » ، ثُمَّ قَادَتْنِي إِلَى غُرْفَتِي .

رَقَدْتُ لُورْنَا فِي فِرَاشِهَا عِدَّةَ أَيَّامٍ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ ، وَلَكِنَّهَا أَخَذَتْ تُسْتَرِدُّ صِحَّتَهَا بِيُطَاءٍ .

كُنْتُ رَاقِدًا مَرِيضًا فِي فِرَاشِي ، أَتَطَلَّعُ فِي حُزْنٍ إِلَى يَدَيَّ الَّتَيْنِ كَانَا قَوِيَّتَيْنِ ، وَتَبْدُوَانِ الْآنَ ضَعِيفَتَيْنِ مِثْلَ يَدَيَّ طِفْلِ صَغِيرٍ ، حِينَ دَخَلْتُ أُخْتِي آتِي الْغُرْفَةَ وَبِصُحْبَتِهَا لُورْنَا . وَلَمْ تَلْبَثْ أَنِّي أَنْ غَادَرَتِ الْحُجْرَةَ ، وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ وَرَاءَهَا . وَاقْتَرَبْتُ مِنِّي لُورْنَا ، وَرَبَّتْ عَلَى يَدِي ، وَعِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بِالْحَيَاةِ تَعُودُ إِلَيَّ .

وَهَكَذَا تَنْتَهِي قِصَّتُنَا . غَيْرَ أَنَّ حُبَّنَا وَسَعَادَتُنَا - كَزَوْجَيْنِ - لَمْ يَكُنْ لَهُمَا نِهَايَةٌ . فَكَانَ جَمَالُ لُورْنَا وَرِقَّتُهَا يَزْدَادَانِ عَامًا بَعْدَ عَامٍ ، وَيَزْدَادُ مَعَهُمَا حُبُّنَا وَسَعَادَتُنَا .







## الروايات المشهورة

- |                |                          |
|----------------|--------------------------|
| ١- جين إير     | ٤- دراكولا               |
| ٢- فرانكنشتاين | ٥- لورنا دون             |
| ٣- مونفليت     | ٦- دكتور جيكل ومستر هايد |



مَكْتَبَةُ لِبْنَان

سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَح - بَیروت

رقم مرجع کمیوتر 01 C 198 105